ثقافات الشعوب

@ketab_n
16.9.2014

@ketab_n

الأميرة ميراندا والأمير هيرو

حكايات شعبية من بولندا

جمع: آ. ج. غلينسكي
ترجمة: عابد اسماعيل

الأميرة ميراندا والأمير هيرو

حكايات شعبية من بولندا

جمع:
آ. ج. غلينسكي

ترجمة:
عابد اسماعيل

كلمة
KALIMA

أبوظبي للثقافة والتراث
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

الأميرة ميراندا والأمير هيرو

حكايات شعبية من بولندا

© هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، المجمع الثقافي
فهرسة دار الكتب الوطنية أثناء النشر

الأميرة ميرندا والأمير هيرو: حكايات شعبية من بولندا

© حقوق الطبع محفوظة

هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة)
الطبعة الأولى 1431 هـ 2010 م

PZ8. G449. Po12 2009
Glinski, A.J. (Antoni Józef), 1817-1866.
[Polish Fairy Tales]

الأميرة ميرندا والأمير هيرو: حكايات شعبية من بولندا/ جمع آ. ج. غلينسكي؛ ترجمة عابد اسماعيل. – ط.1.– أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، كلمة، 2009.
132ص؛ 19x12.5 سم. (سلسلة ثقافات الشعوب).
تدمك: 0- 344-01-9948-978
ترجمة كتاب: Polish Fairy Tales
1 - الحكايات البولندية. 2 - القصص الشعبية البولندية. أ- اسماعيل، عابد. ب- العنوان.

مراجعة وتحرير: سامر أبوهواش
إخراج وتصميم: أحمد عبد الله التتان

كلمة KALIMA
info@kalima.ae
www.kalima.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 468 6314 2 971+ ،
فاكس: 462 6314 2 971+

ADACH ABU DHABI CULTURE & HERITAGE
www.adach.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 300 6215 2 971+ ،
فاكس: 059 6336 2 971+

إن هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة) غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره وإنما تعبّر آراء الكتاب عن مؤلفها.

حقوق الترجمة العربية محفوظة لكلمة

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أي وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من الناشر.

Twitter: @ketab_n

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
تمهيد	9
الضفدعة الأميرة	10
الأميرة ميراندا والأمير هيرو	29
النسور	46
الزوبعة	56
حوذي القارب وحوريات الماء	74
أميرة جبل النحاس	95
الدب في كوخ الغابة	106
ملحق	126

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

هذه السلسلة

تأتي هذه السلسلة التي تجمع تراث الشعوب من الحكايات والأساطير والخرافات الشعبية، منسجمة مع الأهداف والقيم التي اختطتها لنفسها مبادرة «كلمة» منذ البداية، كمشروع رائد للترجمة في العالم العربي. تلك القيم والأهداف التي تسعى أبوظبي إلى تجسيدها، لتشيع ثقافة التسامح والحوار، وبناء جسور التواصل بين شعوب الأرض وحضاراتها، وتعزيز العمق الثقافي الجامع بين مختلف الأعراق والجنسيات والثقافات، وجمعها تحت سقف واحد، هو سقف الثقافة والمعرفة والكلمة التي تجمع ولا تفرّق.

وليست حكايات الشعوب هذه، التي تقدّم للمرة الأولى لقرّاء العربية بمثل هذه الشمولية والكثافة والاتساع، إلا ترسيخاً لهذا المشترك الإنساني الجامع. وكأن ما اصطلحت البشرية على تسميته «عولمة» منذ عقدين من الزمان أو نيّف، كان متحقّقاً بالفعل منذ مئات بل آلاف السنين، عبر حكايات نجدها تتنقّل بحرية من أرض إلى أرض، ومن لسان إلى آخر، إذ تطرأ عليها تعديلات هنا أو هناك، لتناسب ثقافة هذا الشعب أو ذائقة تلك الأمة، أو ظروف تلك الجماعة. وفي بعض الأحيان نجد الحكاية نفسها - مع تغيير في أسماء الناس والأمكنة - تروى في أقاصي الشرق، على نحو ما تروى في أقاصي الغرب، أو

Twitter: @ketab_n

شمال الأرض أو جنوبها. فإذا كانت الحكايات تتمتع بميزة أساسية فهي قدرتها على اختراق الحدود الجغرافية والعرقية والنفسية والسياسية والدينية واللغوية، لتولد في كل مرة، وعند كل قوم من الأقوام، بصورة خاصة وفريدة، تشير إلى خصوصية الذات.

وهكذا، تبقى الحكايات سرّ هذه الأرض الواحدة، نبتتها أو لنقل زهرتها الفريدة، التي نبتت من تربتها الخصبة الواحدة، ونمت تحت سمائها الشاسعة الواحدة، لتجوب آفاق الدنيا، مبدّلة ربما أثوابها وألوانها، ولكن محتفظة دوماً بجوهرها الإنساني الفسيح والعميق.

وإننا إذ نقدّم هذه الحكايات، زهرات الأرض الفريدة هذه، في باقة واحدة ثرية الأجناس والألوان، فإيماناً منا بأننا على اختلاف ثقافاتنا وحضاراتنا، أبناء هذه الأرض الواحدة، وبأن ما ترويه جدّة ما لأحفادها في أصقاع القطب الجنوبي، من حكايات تؤكد قيم الخير والحب والعدالة والسلام، ترويه - وإن بلغة أخرى - جدة أخرى في أصقاع أخرى من الأرض، وهذا ما يجعل الحكايات الشعبية ميراثاً أصلياً للبشرية جمعاء، بقدر ما هي ملك أصلي لكلّ شعب من الشعوب وثقافة من الثقافات.

د. علي بن تميم

مدير مشروع «كلمة» للترجمة

Twitter: @ketab_n

تمهيد

هذه مختارات من موسوعة أكبر كان قد أعدّها أ. ج. غلينسكي، وطُبعت في «ويلنا»، عام 1862. إنّها حكايات خرافية تأتي إلينا من الماضي البعيد، بعضُها يعودُ إلى العصور البدائية، الآرية (Aryan). وهي تمثّلُ الفلكلورَ السّائدَ بين طبقة الفلاّحين في الأقاليم الشّرقية من بولندا، وأيضاً تلك الأقاليم التي تُعرَفُ روسيا البيضاء.

وقد دوّنها غلينسكي، تماماً، كما رواها له الفلاّحون.

في الترجمة (إلى الإنجليزية) كان من الضّروري، بالطبع، اختصارها، شيئاً ما، فالتكرارُ المتواصلُ– رغم جمالِه وسحرِه في اللّغةِ الأصل– لا يمكن إعادةُ إنتاجِه بسهولة. كما أنّ بعض المقاطع جاء موزوناً ومقفّى، وأحياناً اعتمد نوعاً من السّجع الذي نعثرُ عليه، عادةً، في القصائد الرّعوية القديمة. إنّ التشابهات الواضحة بين هذه الحكايات وبين فلكلور ألمانيا، والأمم السلتية (Celtic)، أو تشابهها مع الحكايات الخرافية الهندية، تصيبُ القارئَ بالدّهشة.

مود آشورست بيغز

Twitter: @ketab_n

الضفدعة الأميرة

في قديم الزمان، كان هناك ملكٌ، طاعنٌ جدّاً في السنّ، وكان له أبناءٌ ثلاثة راشدون. طلب منهم المثولَ أمامه، وقال: «أبنائي الأعزّاء، لقد تقدّمتُ كثيراً في السنّ، وأعباءُ الحكم تُرخي بثقلِها على كاهلي. لذلك ينبغي أن أتخلّى عنه لأحدٍ منكم. ولكن، بما أنّ العُرفَ لدينا لا يجيزُ للأميرِ العازبِ بأن يصبح ملكاً، أتمنّى منكم جميعاً أن تتزوّجوا، ومن يختارُ الزّوجةَ الأفضل، سوف يخلُفُني إلى العرش».

هكذا، قرّر كلّ منهم الذهابَ في طريق مختلفة، وسوّوا الأمر على هذا النحو. صعدوا إلى قمّةِ برجٍ شاهقٍ جداً، وراح كل أميرٍ، وفقاً لإشارةٍ معينة، يطلقُ سهمَه في اتجاه مختلف عن أخَويه الآخرين. وفي الأمكنة التي سقطت فيها سهامُهم، توجّب عليهم البحثَ عن زوجات المستقبل.

سقطَ سهمُ الأميرِ، الأكبر سنّاً، في مكانٍ في المدينة، حيث يعيش أحدُ أعضاء مجلس الشّيوخ، وكانت له ابنة جميلة جداً، فذهب إلى هناك وتزوّجها.

Twitter: @ketab_n

واصطدم سهمُ الأمير الثاني بأحد البيوت الرّيفية، حيث كانت تجلسُ فتاة شابة، بهيّة الملامح، وابنة لسيّدٍ غني، فذهب إلى هناك، وطلبَ يدَها، وتزوّجها.

وشقّ سهمُ أصغرِهم طريقَه عبر غابة خضراء، وسقط في بحيرة. ورأى الأميرُ سهمَه يطفو بين أعواد القصب، وفوقه تقعي ضفدعة، وتثبّتُ نظرَها نحوه.

ولأن أرض المستنقع لم تكن آمنة على الإطلاق، لم يجرؤ الأمير على المجازفة، فجلسَ، يعتريه يأسٌ شديد.

سألتْ الضفدعةُ: «ما خطبكَ، أيها الأمير؟».

«ما خطبي؟ لا أستطيعُ الوصول إلى ذاك السّهم، حيث تجلسين».

«اجعلني زوجةً لك، وسوف أعطيكَ إياه».

«ولكن كيف يمكن أن تكوني زوجتي أيتها الضفدعة الصغيرة؟».

«هذا ما ينبغي أن يكون. أنت تدركُ أنكَ أطلقتَ سهمَك من أعلى البرج، يحدوك الأمل بأن تعثر في المكان الذي سقط فيه، على زوجة محبّة، وهذه ستجدها فيّ أنا».

Twitter: @ketab_n

«أنت حكيمةٌ جداً، كما أرى، أيتها الضفدعة الصغيرة. ولكن، أخبريني، كيف يمكن أن أتزوّجكِ، وأعرّفكِ إلى والدي؟ وماذا سيقولُ العالمُ؟».

«خذني معكَ إلى البيت، ولا تدع أحداً يراني. قل لهم إنك تزوّجتَ فتاةً مشرقيةً، لا ينبغي أن يراها الرّجالُ، باستثناء زوجها، بل لا ينبغي أن تراها حتّى امرأة أخرى».

فكّر الأميرُ قليلاً. كان السّهم يطفو بمحاذاة ضفّة البحيرة، فأخذ السّهمَ من الضفدعة الصغيرةِ، ووضعَها، هي، في جيبِه، وحمَلَها معه إلى المنزلِ، ثم ذهب إلى فراشِه، يزفرُ تنهّدات عميقة.

في الصباح التالي، علم الملك بأنّ جميعَ أبنائه قد تزوّجوا، فطلب منهم المثولَ أمامه، وقال:

«حسناً، يا أولاد، هل أنتم راضون جميعاً عن زوجاتكم؟»

«راضون تماماً، في الحقيقة، يا أبانا وملكنا».

«حسناً، سنرى من اختار منكم الزّوجة الأفضل. لتبدأ كلّ واحدة من كنّاتي الثلاث بحياكة سجّادة حتىّ يوم الغد، ومن تكون سجّادتها الأجمل، تكون هي الملكة».

Twitter: @ketab_n

هرع الأميران الأكبر سنّاً إلى زوجتيهما، في الحال، أمّا الأميرُ الأصغرُ، فوصلَ إلى المنزلِ، واليأسُ يعتصرُ قلبَه.

سألته الضفدعةُ: «ما الأمر؟».

«ما الأمر؟» لقد أمَرَ والدي بأن تقومَ كلّ كنّة من كنّاته بحياكة سجّادة، ومن تكون سجّادتها الأجمل، تصبحُ الأولى في المنزلة الرفيعة. وقد بدأتْ، على الأرجح، زوجتا شقيقيّ بالعمل على نولهما للتوّ. ولكن، أنت، أيتها الضفدعة الصغيرة، بإمكانكِ أن تُرجعي سهماً، وأن تتكلّمي كالبشر، ولكن ليس بمقدوركِ حياكة سجّادة، حسبما أرى».

قالت: «لا تخف، اذهب إلى النوم، وقبل أن تستيقظ، ستكون السجّادة جاهزة».

استلقى الأمير على السّرير، وأخلدَ إلى النوم.

لكنّ الضفدعة الصغيرة جلست على طرفيها الخلفيين، خلف زجاج النافذة، وأنشدت:

«أيتها النسائمُ التي تهبّ، أيتها الرّياح التي تئنّ،

تعالي إلى هنا، على جناحِ السرعة،

Twitter: @ketab_n

واهرعي فوراً إلى مسكني،

وأحضري معكِ هذه النفائس المتنوّعة.

أرغبُ بأفخرِ أنواعِ الصّوف،

وبسلّةٍ من أجملِ أنواعِ الزّهر،

أحضري، من أعماقِ المحيطِ، رمالاً من ذهب،

وحبيبات من لؤلؤ، ذات بريقٍ ملوّن،

كي أنسجَ سجّادةً بهيّةً،

مطرّزةً بالوردِ الأخّاذة، وخَرَزِ الضّوء،

أحيكُها في نهارٍ وليلةٍ، قصيرين،

كي تقبضَ يدا حبيبي الوفي على الكَنز».

سُمِعَ، على الفور، همسٌ لطيفٌ للنسائم، ومن شعاعِ الشّمس، هبطت حورياتٌ سبعٌ جميلات، وطفن في سماء الغرفة، حاملات سلالاً من أجمل أنواع الصّوف الملون، واللؤلؤ، والأزهار. انحنين بإجلالٍ أمام الضفدعة الصغيرة، وخلال بضع دقائق، نسجن سجّادةً جميلةً رائعةً، ثمّ انحنين ثانيةً باحترامٍ كبير، وطرنَ بعيداً.

Twitter: @ketab_n

في هذه الأثناء، أحضرت زوجتا الأميرين الآخرين أجمل أنواع الصوف الملون، وأحلى ما استطاعتا العثور عليه من التصاميم، وانكبتا تعملان على توليهما طوال اليوم التالي.

بعدئذٍ مَثُلَ الأمراءُ الثلاثة جميعاً أمام الملك، وبسطوا سجّاداتهم أمامه.

نظرَ الملكُ إلى السجّادة الأولى، ثم الثانية، ولكنه عندما وصل إلى الثالثة، صرخ مندهشاً:

«هذه هي السجّادة التي أبحثُ عنها! أمنحُ المكانَ الأوّلَ لزوجةِ ابني الأصغر، مع ذلك يبقى هناك امتحانٌ آخر».

وأمر بأن تحضّر له كلّ كنة من كنّاته كعكةً في اليوم التالي، والزّوجة التي تكون كعكتها الأفضل يصبح زوجها خليفةً له.

عاد الأميرُ الأصغرُ إلى زوجتِه الضفدعة، وبدا شاردَ الذّهن، قلقَ البال، وراح يطلقُ تنهداتٍ عميقة.

سألته: «ما خطبكَ، أيها الأميرُ؟».

Twitter: @ketab_n

«يطلبُ والدي برهاناً آخر على المهارة، وأنا لستُ متأكداً أننا سننجحُ، كما نجحنا في السابق، إذ كيف بمقدورك أن تحضّري كعكةً؟».

«لا تخف، استلقِ في سريرك ونَمْ، وحين تصحو، ستكون في مزاجٍ أكثر سعادةً».

ذهب الأميرُ إلى النوم، وقفزت الضفدعةُ إلى النافذة، وشرعت تغني:

«أيتها النسائم التي تهبّ، أيتها الرياح التي تئن،

تعالي إلى هنا، على جناح السرعة،

واهرعي فوراً إلى مسكني،

وأحضري معكِ هذه الهدايا العديدة.

من أشعّة الشمس السّاطعة،

أحضري لي الضّوءَ والحرارةَ،

وبعضاً من الماء المقطّر

من الغديرِ الرّقراقِ الصّافي.

Twitter: @ketab_n

ومن زهور الحقول

تلك الروائح الزّكية التي تفوح.

من حقولِ القمحِ أحضري

خمسة أوزان كاملة من الحبوب

من أجل أن أحضّر

خلال هذا الليل كعكةً

من أجل حبيبي المخلص».

بدأت الريحُ بالهبوب، وهبطت الحوريات السبع الجميلات، وطفن في سماء الغرفة، حاملات سلالاً من الطحين والماء والحلوى والمأكولات الطيبة. انحنين بإجلال أمام الضفدعة الصغيرة، وحضّرن الكعكة خلال خمس دقائق، ثم انحنين ثانيةً، وطرن بعيداً.

في اليوم التالي أحضر الأمـراء الثلاثة كعكاتهم إلى الملك. كانت الكعكات الثلاث جيدة، ولكن حين تذوّق الملك تلك التي حضّرتها زوجةُ ابنه الأصغر، صرخ قائلاً:

Twitter: @ketab_n

«هذه هي الكعكةُ التي أبحثُ عنها! خفيفة، ناعمة، ناصعة، ولذيذة! أرى أن ابني الأصغر اختار الزوجة الأفضل، لكن ينبغي أن ننتظر قليلاً من الوقت، مع ذلك».

غادر الأميران، الأكبر سناً، يلفّهما القنوطُ، أما الأصغر فكان مبتهجاً، بشكل كبير. حين وصل إلى المنزل، أمسكَ الضفدعةَ الصغيرة، وربّت على ظهرها، وقبّلها، ثم قال:

«قولي لي، يا حبي، كيف تمكّنتِ، أنتِ الضفدعة الصغيرةُ، من حياكة تلك السجادة الفارهة، وإعداد تلك الكعكة الشهية؟».

«لأنني، يا أميري، لستُ كما أبدو عليه. أنا أميرة، ووالدتي هي ملكة الضّوء، ذائعة الصّيت، وساحرة عظيمة. لكن لها أعداء كثر، ولأنهّم لم يستطيعوا إلحاق الأذية بها، سعوا دوماً إلى تدميرِي. ولكي تحميني منهم، وتُبعدني عن أنظارِهم، اضّطرت إلى تحويلي إلى ضفدعة، وهكذا، أُجبرت على البقاء في المستنقع، حيث عثرتَ عليّ، طوال هذه السّنوات السبع. ولكن تحت جلدِ هذه الضفدعة، توجد فتاةٌ حسناء حقاً، أكثر جمالاً مما تتصوّر. لكنني سوف أبقى أرتدي هذه الهيئة، حتى تنتهي أمّي من دحرِ جميع أعدائِها. وإلى أن يتمّ ذلك، سوف تبقى تراني، كما أنا الآن».

Twitter: @ketab_n

أثناء حديثهما، دخل اثنان من خدم القصر، يحملان أوامر للأمير بضرورة حضوره إلى مأدبة في القصر، على أن يصطحب معه زوجته، على غرار ما فعل شقيقاه.

حار في أمره ماذا سيفعل، لكنّ الضفدعة الصغيرة قالت:

«لا تخف، يا أميري. اذهب إلى والدكَ بمفردكَ، وحين يسأل عني، سوف تمطرُ السّماءُ على الفور. ستقولُ عندئذ إنّ زوجتك ستلحقُ بك، لكنّها الآن تستحمّ بندى مايو. وحين يومضُ البرقُ، قلْ إنني أرتدي ملابسي، وحين يضربُ الرعدُ، قل إنّني قادمة».

واثقاً من كلامها، شدّ الأميرُ الرحال باتجاه القصر، وقفزت الضفدعةُ إلى النافذة، ووقفت على طرفيها الخلفيين، وغنّت:

«أيتها النسائمُ التي تهبّ، أيتها الرياحُ التي تئن،

تعالي إلى هنا، على جناحِ السرعة،

واهرعي فوراً إلى مسكني،

وأحضري معكِ هذه الهدايا العديدة.

أحضري لي جمالي السّابق،

Twitter: @ketab_n

وشبابي البهيّ، مرّةً أخرى،

أحضري جميعَ ملابسي الجميلة

ومجوهراتي النادرة،

ودعيني أُدخِلُ البهجةَ

إلى قلبِ حبيبي الغالي».

حضرت الفتيات السبعُ الفاتناتُ، اللواتي هنّ وصيفات الأميرة- حين كانت تعيش مع والدتها- وسبحن في شعاعِ الشّمس، ودخلن الغرفةَ. انحنين بإجلال، ودرن حولها مرات ثلاث، وتمتمن ببعض الكلمات السحرية.

على إثر ذلك، سقطَ جلدُ الضفدعة، وانتصبت بينهنّ معجزةٌ من الجمال، وعادت الأميرةُ كما كانت.

في تلك الأثناء، كان زوجها، الأمير، قد وصل إلى قاعة المأدبة الملكية، المكتظة توّاً بالضيوف. رحّب به الملكُ العجوز بحرارة كبيرة، وسأله:

«أين هي زوجتكَ، يا بني؟»

Twitter: @ketab_n

في تلك اللحظة، بدأ مطرٌ خفيفٌ يهطلُ، فقال الأميرُ:

«لن تتأخّر طويلاً، إنها تستحمّ الآن بندى مايو».

تبعَ ذلك ومضٌ من البرق، أضاء جنبات القصرِ كلها، فقال الأمير:

«إنها الآن تتزيّنُ وتتبرّجُ».

ولكن حين أرعدت، هرَعَ باتجاه الباب، وصرخَ قائلاً:

«هاهي، قد وصلت».

دخلت الأميرةُ الحلوةُ كأنهّا تسحبُ شعاعَ الشّمسِ معها.

وقف الجميعُ مبهوراً أمام مرأى جمالِها. حتى الملك لم يستطع أن يكبحَ سعادته، وبدت له أكثر جمالاً، لأنه رأى فيها صورةً عن زوجته الملكة، المتوفّاة منذ زمن بعيد. لم يكن الأمير نفسه أقلّ انبهاراً، وغمرتُهُ الفرحةُ لرؤية هذا الجمال الفاتن فيها، هو الذي لم يكن قد رآه إلاّ في هيئة ضفدعةٍ صغيرة.

قال الملك: «أخبرني، يا بني، لماذا لم تخبرني من قبل عن اختيارك الموفّق هذا؟».

Twitter: @ketab_n

أخبره الأميرُ الصغيرُ، همساً، كلّ شيء، فقال الملك:

«عد إلى البيت، إذن، يا بني، وخذ جلدَ الضفدعة ذاك، وارمه في النار، ثم اقفل راجعاً على جناح السرعة. عندئذ سوف تظلّ كما هي عليه الآن».

فعل الأميرُ ما أخبره به والدُه، وذهبَ إلى البيت، ورمى بجلد الضفدعة في النار، حيث احترق وتلاشى على الفور.

لكن الأمور لم تنتهِ كما توقّعوا، لأنّ الأميرة الفاتنة، وبعد عودتها إلى المنزل، راحت تبحثُ عن جلدِها، كضفدعةٍ، فلم تجدْهُ، وبدأت تبكي بمرارة. وحين اعترف لها الأميرُ بالحقيقة، صرخت بأعلى صوتها، وأمسكتْ بعرقٍ أخضر من الخشخاش، وقعَ في يدها، ورمتهُ في وجههِ. ذهبَ إلى سريره، حالاً، لكنها قفزت إلى النافذة، وراحت تنشدُ أغانيها للرّيح، حتىّ تحوّلت إلى بجعةٍ، وطارت، متواريةً عن الأنظار.

استيقظ الأميرُ في الصّباح، وحزن حزناً شديداً لأنه وجد أن أميرته الجميلة قد رحلت.

امتطى صهوةَ حصانِه، وراح يبحثُ عنها، سائلاً في كلّ مكان عن مملكةِ ملكةِ الضّوء– والدةِ أميرتِه– التي افترضَ أنها لجأت إليها.

Twitter: @ketab_n

ظلّ يبحثُ، ويستقصي طويلاً، ممتطياً صهوة حصانه، حتى وصل، ذات يوم، إلى سهل رحب، تكسوه نباتات الخشخاش المزهرة، التي أسكرهُ أريجُها، حتى أنه لم يستطع البقاء رابطَ الجأش، فوق سرجِ حصانه. لكنه رأى في البعيدِ منزلاً صغيراً، غريب الشكل، ينهض على أربع قوائم متعرّجة. لم يكن للمنزل باب، ولأنه كان يعرف ماذا يفعل، قال:

«أيّها البيتُ الصغيرُ، تحرّك

فوق قوائمك المتعرّجة حرّاً،

أدرْ ظهركَ للغابةِ

وبابَكَ الأماميَ لي».

أصدر الكوخُ، ذي القوائم المتعرّجة، صريراً، واستدارَ، مواجهاً ببابه الأميرَ. دلفَ الأميرُ إلى الداخل، على الفور، ورأى عرّافةً عجوزاً اسمها جاندزا، كانت تغزل على مغزلها، وتغني.

قالت: «كيف حالكَ، أيها الأمير؟ ما الذي أتى بك إلى هنا؟».

أخبرها الأميرُ بكلّ شيء، فقالت:

Twitter: @ketab_n

«فعلتَ الشيء الحكيم لأنكَ أخبرتني بالحقيقة. أعرفُ جيداً عروسَكَ، تلك الابنة الجميلة لملكة الضّوء. إنّها تأتي إلى منزلي يومياً، في هيئة بجعة، وتجلس في هذا المكان. اختبأ تحت الطاولة، وترقّب فرصتكَ، للإمساك بها. امسك بها جيداً، مهما تكن الهيئة التي تصيرها، فحين تتعبُ، سوف تتحوّلُ إلى مغزل، وعندئذ ينبغي عليكَ أن تكسرَ المغزلَ نصفين، لتعثرَ على ما تبحثُ عنه».

بعد فترة وجيزة، حطّت البجعةُ في المنزل، وجلست بالقرب من السّاحرةِ العجوز، وبدأت تفلّي ريشَها بمنقارِها. أمسك بها الأميرُ من جناحِها. قاقت البجعةُ، ونفَرَت، محاولةً الافلاتَ منه. حين وجدت أن محاولاتها ذهبت سدى، حوّلت نفسها إلى حمامة، ثم إلى نسر، ثم، أخيراً، إلى أفعى، فخاف الأمير، وتركها وشأنَهَا، لتتحوّل، من جديد، إلى بجَعَة، حيث زعقت بصوتٍ عال، وطارت من النافذة.

أدرك الأميرُ خطأه، فرفعت العجوزُ صوتهَا عالياً، وقالت:

«ما الذي فعلته، أيها المهمل! لقد أخفتها منك إلى الأبد. ولكن بما أنّها عروسكَ، يجب أن أتدبّر طريقةً أخرى لمساعدتك. خذ كرةَ الخيطان هذه، وارمها أمامك، وحيث يقودكَ الخيطُ،

Twitter: @ketab_n

اتبعهُ، وستصل عندئذ إلى منزل شقيقتي، وسوف تخبرك بما ينبغي عليك القيام به، تالياً».

راح الأميرُ يتبعُ كرةَ الخيط، ليلَ نهارٍ، حتى وصل إلى منزل غريب الشّكل، كسابقِه، وردّد أمامه أبياتَ الشّعر ذاتها، ثم دلف إلى الداخل، ووجد السّاحرةَ الثانيةَ، وأخبرها قصّته.

صرخت: «اختبأ تحت المقعد، فعروسُك على وشك الدّخول».

حطّت البجعةُ في الداخل، كما فعلَت سابقاً، فأمسكَ بها الأميرُ من جناحِها. صاءت، وحاولت الإفلات منه. ثم حوّلت نفسَها إلى ديكٍ رومي، ثم إلى كلب، ثم إلى قطّة، وأخيراً سمكة أنقليس، فانزلقت من بين يديه، وتوارت بعيداً، عبر النافذة.

انتاب الأميرُ اليأسَ والقنوطَ، لكنّ العجوزَ أعطتْهُ كرةَ خيطانٍ أخرى، فراح يتبعها من جديد، مصمماً على ألا يترك الأميرة تفلتُ من بين يديه بسهولة. وبينما يقتفي أثر الخيط، وهو ينحلّ أمامه، رأى منزلاً صغيراً مضحكاً، كالمنزلين السّابقين، فقال:

Twitter: @ketab_n

«أيّها البيتُ الصغير، تحرّك

فوق قوائمك المتعرّجة حرّاً،

أدرْ ظهركَ للغابةِ

وبابَكَ الأمامي لي».

استدار البيتُ الصغيرُ باتجاهه، حتى تمكن من الدخول إليه، فوجد ساحرةً ثالثةً، أكبر سناً من أختيها السابقتين، وشعرها أبيض. سرد لها قصّته، وتوسّل إليها لكي تساعده.

قالت العجوز: «لماذا خالفتَ رغبات زوجتك الذّكية والحسّاسة؟ أنت ترى أنهّا تعرفُ أكثر منك ماذا يعني لها جلدُ الضفدعة. لكن يبدو أنك كنتَ على عجلةٍ من أمركَ لكي تعرضَ جمالها، وتفوز بإطراء الناس، لدرجة أنك خسرتها، وأجبرتها على الفرار، والطيران بعيداً عنك».

اختبأ الأميرُ تحت المقعد، وطارت البجعة نحو الداخل، وحطّت عند قدمي المرأة العجوز، فأمسك بها من جناحيها.

حاولت جاهدةً الإفلات منه، لكنها شعرت بأن قوته كبيرة جداً، ولن تستطيع مقاومتها، فحولت نفسها، على الفور، إلى

Twitter: @ketab_n

مغزل. هرع وكسره فوق ركبته إلى نصفين. .. و ياله من مشهد! فقط انظرْ وتأمّلْ! بدلاً من النصفين المكسورين للمغزل، كان الأميرُ يمسكُ بيدي أميرته الجميلة، التي كانت تنظرُ إليه باشتياق عارم، وتبتسمُ له بعذوبة فائقة.

وعدته بأن تبقى على هذه الحال، دائماً، كما كانت في الماضي، إذ بما أن أعداء والدتها قد ماتوا جميعاً، فإنهّا لم تعد تخافُ شيئاً.

تعانقا، وخرجا من كوخ الساحرة العجوز. راحت الأميرةُ تتمتم ببعض الرّقى السحرية، وفي لمحة عين، ظهر أمامهما جسر رائع، يمتدّ مئات الأميال، من حيث يقفان، وصولاً إلى بهو القصر، الذي يعود إلى والد الأمير. كان الجسر مصنوعاً بكلّيته من الكريستال، وحوافّ درابزينه معشّقة بالذّهب، ومطرّزة بالمجوهرات.

تفوّهت الأميرةُ بالمزيد من كلمات السحر، فظهرت عربةٌ ذهبيةٌ من بعيد، تجرّها ثمانية جياد، وحوذي، وخادمان طويلان، وجميعهم يرتدون ملابس مذهّبة. وكان ثمة أربعة خيّالة، يمتطون خيولاً برّاقة، يحرسون جَنَبات العربة، وسائس في المقدمة، ينفخ في بوق نحاسي. وخلف هؤلاء مشى موكبٌ طويل من المستقبلين، الذين يرتدون ملابس أنيقة وجميلة.

Twitter: @ketab_n

صعد الأميرُ والأميرة إلى العربة الذهبية، وانطلقا، مع صحبهما، فوق الجسر الكريستالي، حتى وصلا إلى القصر، وخرج الملكُ لاستقبالِهما، وعانقهما بحرارةٍ بالغة. وعيّن الملكُ الأميرَ خلفاً له، وأُقيمت للمناسبة الأفراحُ الباهرة، التي لم يسبق لأحد أن رأى نظيراً لها، أو سمع بمثلها.

Twitter: @ketab_n

الأميرة ميراندا والأمير هيرو

بعيداً، في أعماق المحيط الرّحب، كان ثمة جزيرة خضراء، تعيش فوقها أجمل أميرات العالم، واسمها ميراندا. ترعرعت هناك منذ ولادتها، وكانت ملكةً للجزيرة. لم يكن يعلم أحدٌ شيئاً عن أهلها، أو كيف حطّ بها الرّحال هناك. لكنها لم تكن وحيدةً، فقد تربّى معها فوق الجزيرة اثنتا عشرة وصيفة جميلة، يسهرن على خدمتها.

على أنّ حفنة من الغرباء كانت قد بدأت تزور الجزيرة، وتتحدّث عن جمال الأميرة الباهر، وما لبث أن تدفّق المزيد منهم، وأصبحوا من رعاياها، وبنوا مدينةً رائعةً، اختارت فيها الأميرة قصراً فاخراً من الرّخام الأبيض، وعاشت فيه.

ومع مرور الزمن، زارها العديدُ من الأمراء الراغبين في طلب ودّها، لكنها لم تأبه للزواج من أيّ منهم، وإذا حاول أحدهم إجبارها بالقوة على أن تكون زوجة له، كانت تحيلُه، مع جميع جنوده، إلى جليدٍ، بمجرّدِ أن تثبّت بصرَها باتجاهه.

Twitter: @ketab_n

ذات يوم، خرج «كوشّيه» الشّرير، ملك العالم السفلي، إلى العالم العلوي، وبدأ يتفحّص جهاته كلّها بمنظاره. مرّت أمام ناظريه ممالك وإمبراطوريات كثيرة، حتى رأى أخيراً الجزيرة الخضراء، والمدينة الغنية المشادة فوقها، وقصر الرخام في هذه المدينة، ووصيفات الشّرف الاثنتي عشرة في هذا القصر، وبينهنّ، فوق أريكة من وبر القطن، ترقد الأميرة ميراندا، نائمة. كانت تنام مثل طفلة بريئة، لكنها كانت تحلم بأمير شاب، يرتدي درعاً ذهبية، ويمتطي حصاناً قوياً، ويحملُ صولجاناً لامرئياً، يحاربُ من تلقاء نفسهِ ... وتحبّه أكثر من حياتها.

نظر «كوشّيه» إليها، فانبهر بجمالها، وضرب الأرضَ مرّاتٍ ثلاثاً، ووقفَ فوق الجزيرة الخضراء.

استدعت الأميرة ميراندا جيشها المقدام، وقادته إلى ساحة القتال، لمحاربة الشّرير «كوشّيه». لكنه، نفخ عليهم من أنفاسه المسمومة، وأرداهم جميعاً نياماً، وكان على وشكِ إلقاء القبض على الأميرة، حين رمقته بنظرة احتقار خاطفة، وحوّلته إلى كتلة من جليد، وفرت عائدةً إلى عاصمتها.

Twitter: @ketab_n

لم يبق «كوشّيه» جليداً لمدة طويلة. إذ ما إن توارت الأميرة بعيداً، حتى قام وحرّر نفسَه من نظرتها، مستعيداً هيئته الاعتيادية، ولحق بها إلى مدينتها. وأردى جميعَ قاطني الجزيرة نياماً، بمن فيهم وصيفات الأميرة، الاثنتي عشرة، الجميلات المخلصات.

ظلّت الأميرةُ بمنأى عنه، ولم يستطع إلحاق الأذى بها، ولأنه ظلّ خائفاً من نظرتها، أحاط القلعة- التي كانت تنهض فوق تلة عالية- بسور من الفولاذ، ونصّبَ على بوابته تنيناً باثني عشر رأساً، لحراسته، وانتظر الأميرة أن تستسلمَ من تلقاءِ نفسِها.

مرت الأيامُ، والأسابيعُ، ثم الشّهور، وبدأت مملكتُها تتحوّل إلى صحراء، فجميع رعاياها نائمون، وجنودها المخلصون، في الحقول والسّهول، يغطّون في نوم عميق، وبدأ الصدأُ يعلو دروعَهم الفولاذية، والنباتاتُ البرّيةُ تنمو عشوائياً فوقها. كما أنّ وصيفاتها كنّ نائمات أيضاً، في غرف مختلفة من القصر، تماماً في الأمكنة التي صودف وجودهنّ فيها، وظلّت الأميرةُ وحيدةً، تذرعُ، حزينةً، الغرفة الصغيرة في أعلى البرج، جيئةً وذهاباً، هناك حيث طلبت ملجأً- وراحت تعصر يديها الناصعتين، حرقةً، وتنتحبُ، وبدأ صدرها يعلو ويهبط تنهّداً.

Twitter: @ketab_n

كان الجميعُ صامتين حولها، كأنهّم موتى، باستثناء طرقات «كوشّيه» على بابها، الخائف من نظراتها الغاضبة، يطلب منها، بين الحين والآخر، الاستسلام، واعداً إياها بأن يجعلها ملكة، على مملكته، في العالم السفلي. لكن ذلك كلّه ذهب سدىً، فالأميرة ظلّت صامتة، واكتفت بتهديده بنظراتها.

بيد أن الأميرة ميراندا، وفي ذروة كربها، في سجنها المعزول، لم تستطع أن تنسى حبيبها، الذي لطالما حلمت به، ورأته تماماً كما ظهر لها في حلمها.

وبعينيها الزرقاوين، نظرت إلى السّماء، وإذْ لَمَحَتْ غيمةً تعبرُ، قالت:

«آه، أيتها الغيمة! السابحة في سماءٍ صافية!

امكثي، واصغي لتنهّداتي الشّاكية!

في حزني أناديكِ؛

آه، أين هو حبيبي! قولي!

آه! أين تتوهُ خطواته؟

وهل يفكّر بي الآن؟».

Twitter: @ketab_n

أجابت الغيمة: «لا أدري! اسألي الريحَ».

نظرت الأميرةُ إلى السّهلِ الرّحبِ الشّاسعِ، وحين لمحت كيف تهبّ الرّيحُ حرّةً، قالت:

«أه، أيتها الرّيحُ! التي تطيرُ فوق أصقاع الدنيا!

اعطفي على حزني وبكائي!

اشفقي على حالي!

آه، أين حبيبي؟ قولي!

آه، أين تتوُهُ خطواته؟

وهل يفكّر بي الآن؟».

قالت النجوم: «اسألي القمرَ، بما أنه الأقرب إلى الأرض، ويعرف أكثر منّا ماذا يحدثُ هناك».

التفتت الأميرةُ إلى القمرِ وقالت:

«أيّها القمرُ السّاطعُ، في محرسكَ،

من أعلى السّماوات المطرّزةِ بالنجوم، فوق هذه الأرض النائمة،

Twitter: @ketab_n

انظر إلى الأسفل، الآن، واشفقْ على حالي!

آه، أين حبيبي؟ قلْ!

آه، أين تتوُهُ خطواته؟

وهل يفكّر بي الآن؟».

أجاب القمر: «لا أعرفُ شيئاً عن حبيبكِ أيتها الأميرة، ولكن ها قد أتت الشّمس، وسيكون بمقدورها أن تخبركِ».

بزغت الشّمسُ فجراً، ووقفت كالظهيرة فوق برجِ الأميرة، وقالت الأميرة:

«أنتِ، يا روحَ العالمِ! أيتها الشّمسُ الساطعةُ!

انظري إلي، أقبعُ في هذا السّجن، محطّمة!

اشفقي علي!

آه! أين حبيبي؟ قولي!

في أي أرض تتوهُ خطواته؟

وهل يفكّر بي الآن؟».

Twitter: @ketab_n

قالت الشمس: «أيتها الأميرةُ، ميراندا، جفّفي دموعَكِ، وهدّئي روعَكِ؛ حبيبُكِ قادمٌ بسرعة إليكِ، من أعماق اليمّ العميق، ومن تحت السّقوف المرجانية؛ لقد فاز بالخاتم المسحور، وحين يضعه في إصبعه، يزدادُ عددُ جنوده آلافاً مؤلّفةً، فوجاً تلو فوج، منهم الفارسُ ومنهم الرّاجلُ، وسوف تُقرَعُ الطبولُ، والسيوفُ تلمعُ، والألوانُ تتطايرُ، والمدافعُ تهدرُ، وينقضّ الأمير على إمبراطورية كوشّيه. لكنّه لن يستطيعَ أن يدحرَهُ بقوةِ السلاح الفتّاك. سوف أعلّمُهُ طريقةً مؤكّدةً، وثمة أملٌ كبيرٌ بأن يخلّصكِ من براثن كوشّيه، وينقذَ بلدَكِ. سوف أعجّلُ في الذهابِ إلى أميركِ. وداعاً».

انتصبت الشّمسُ فوق بلدٍ رحبٍ، وراء البحار العميقة، خلف الجبال الشاهقة، حيث الأمير هيرو، مرتدياً خوذةً ذهبيةً، وممتطياً فرساً قويةً، ينظّمُ جيشَه، ويحضّرُ للزحفِ ضدّ «كوشّيه»، الذي يحاصرُ الأميرةَ الفاتنةَ. رآها في الحلم مرّات ثلاثاً، وسمع عنها كثيراً، فجمالها ذاعَ صيته في كلّ أنحاء المعمورة.

قالت الشمس: «سرّح جيشَكَ، فلا جيشَ باستطاعته أن يقهرَ كوشّيه، ولا سلاح يطاولُهُ؛ بإمكانكَ فقط أن تحرّر الأميرةَ، ميراندا، بقتلِكَ إياه، أما كيف تفعلُ ذلك، فهذا ما ينبغي أن

Twitter: @ketab_n

تتعلّمه من الساحرة العجوز جاندزا. أستطيعُ فقط أن أخبركَ أين تجد الحصانَ، الذي سوف يحملكَ إليها. اذهب من هنا باتجاه الشّرق، وستجدُ أمامك مرجاً أخضراً، فيه ثلاث شجرات بلّوط، تجدُ بينها باباً حديدياً، مطموراً في الأرض، وله قفل نحاسي. خلف الباب، ستعثرُ على فرس المعركة، وعلى صولجانٍ، والبقيةُ ستعلمُ عنها لاحقاً، ... وداعاً!».

اعترت الدهشةُ الأميرَ هيرو، لكنه خلعَ خاتمَه السّحريَ ورماهُ في البحر، ومعه اختفى جيشَه، على الفور، في الضّباب، ولم يترك خلفه أثراً. استدار نحو الشّرق، وبدأ رحلتَه.

بعد أيام ثلاثة أتى إلى المرج الأخضر، وهناك وجد شجرات البلّوط الثلاث، والباب الحديدي، تماماً مثلما قيل له. انفتحَ البابُ على دَرَجٍ ضيّق، متعرّجٍ، يقودُ نحو الأسفل، ويمرّ عبر نفقٍ عميق، وهناك وجد باباً حديدياً آخر، موصداً بواسطة قفل نحاسي ثقيل. خلف الباب سمع حصاناً يصهلُ صهيلاً عالياً، جعلَ البابَ يهوي على الأرض، وفي اللحظة ذاتها، انفتح أحد عشر باباً آخر، ومن هناك خرجَ حصانُ الحرب، الذي كان قد حبسه ساحرٌ منذ قرون.

Twitter: @ketab_n

أطلق الأميرُ صفيراً للحصان، فشدّ هذا الأخير بقوّة على أربطته، وكسَرَ اثنا عشر قيداً كانت تكبّله. حصانٌ له عينان كالنجوم، ومنخران من لهب، وغرّةٌ مثل غيمةِ الرّعد. ... إنه سيد الخيول، وأعجوبةُ العالم.

قال الحصان: «أيها الأمير، هيرو، انتظرتُ طويلاً فارساً مثلكَ، وأنا مستعدّ لخدمتكَ إلى الأبد. امتطِ صهوتي، وامسك بيدكَ ذاك الصّولجان، الذي تراه متدلياً من السّرج، ولكن لا حاجة لك بأن تحارب به بنفسكَ، إذ إنّه يضربُ في كلّ مكان تأمرُهُ به، ويقهرُ جيشاً بأكمله. أعرفُ الجهات كلّها، فقط أخبرني أين تريدُ الذهابَ، وستجدُ نفسكَ، هناكَ على الفور».

أخبره الأميرُ بكلّ شيء، وبيده قبضَ على الصّولجان الذي يحاربُ من تلقاء نفسِه، وقفزَ على ظهرِ الحصان.

وثبَ الحصانُ ونخَرَ، وضَرَب بحافريه الأرضَ، وطارَ مع الأميرِ فوق الجبال والغابات، وحلّقَ أعلى من الغيومِ السّابحةِ، فوق أنهارٍ سريعةٍ، وبحارٍ عميقةٍ، ولكن عندما كانا يطيران عند حوافّ الأرض، لم تدعسْ الحوافرُ الخفيفةُ لفرسِ المعركةِ وريقةَ عشبٍ واحدةٍ، ولم تذرْ ذرّةً من غبارٍ فوق التربة الرملية.

Twitter: @ketab_n

قبل مغيب الشّمس، وصل الأميرُ هيرو إلى الغابة البدائية، حيث تعيشُ الساحرةُ العجوزُ جاندزا.

أصابته الدهشةُ لمرأى حجم وعمر أشجار البلوط والصنوبر والحور القوية، حيث غسقٌ أزليٌ يخيّمُ. ثمة أيضاً صمتٌ مطبقٌ يسودُ- لا ورقة، ولا عشبة صغيرة، تحرّكُ ساكناً، ولا شيء حيّ، كمثل عصفور، أو طنين حشرة، ووسط سكون المقابر هذا، كان يُسمَعُ فقط وقعُ حوافر حصانِه.

توقّف الأميرُ أمام منزلٍ صغيرٍ، ينهض على قوائم متعرّجة، وقال:

«أيّها البيتُ الصغيرُ، تحرّك

فوق قوائمكَ المتعرّجةَ حرّاً،

أدرْ ظهركَ للغابةِ

وبابَكَ الأمامي لي».

استدارَ المنزلُ، متّجهاً ببابِهِ نحوه، فدخل الأميرُ، وسألته العجوزُ جاندزا:

Twitter: @ketab_n

«كيف وصلتَ إلى هنا، أيّها الأمير هيرو، إذ لم يسبق لمخلوقٍ أن شقّ طريقَه إلى هنا حتىّ الآن؟».

«قبل أن تسأليني رحّبي بضيفكِ بكلّ تهذيب».

وهكذا قدّمت العجوز للأميرِ طعاماً وشراباً، وأعدّت له سريراً ناعماً، ليأخذ قسطاً من الرّاحة بعد رحلته، وتركته يقضي الليلَ وحده.

في الصباح التالي أخبرها بكلّ شيء، ولماذا قصَدَ بيتَها.

«لقد أخذتَ على عاتقكَ مهمّةً عظيمةً ورائعةً، أيّها الأمير، ولذا دعني أخبركَ كيف ستقتلُ كوشّيه. في المحيط، وفوق جزيرةِ الحياة الخالدة، هناك شجرة بلّوط عتيقة، وتحت هذه الشّجرة تجد صندوقاً مدفوناً، مسوراً بالحديد. في هذا الصندوق يوجد أرنب برّي، وتحته تجلسُ أوزّةٌ رماديةٌ، تحملُ بيضةً في جوفِها، وفي هذه البيضةِ توجدُ حياة كوشّيه محبوسةً. حين تكسرُ البيضةَ، يموتُ على الفور. الآن، وداعاً، أيّها الأميرُ، وليرافقكَ الحظّ السعيد. حصانُكَ سيدلّكَ على الطّريق».

امتطى الأميرُ صهوة حصانه، وسرعان ما تركا الغابةَ خلفهما، ووصلا إلى شاطئ المحيط.

Twitter: @ketab_n

على الشّاطئ كانت توجدُ شبكةُ صيّاد، وفي الشبكة فرخ سمك كبير، ما إن رأى الأميرَ، حتى صرخ متوسّلاً:

«أيّها الأمير، هيرو! انتشلني من هذه الشّبكة، وارمني ثانيةً إلى البحر، وسوف أردّ لكَ الجميل!».

أخرجَ الأميرُ فرخَ السّمكِ من الشّبكة، ورمى به إلى البحر. غطس الكائنُ في اليمّ واختفى.

نظر الأميرُ صوب البحر، ورأى الجزيرةَ في المسافة الرّمادية، نائيةً في البعيد، ولكن كيف يمكنه الوصول إلى هناك؟ اتكأ على صولجانه، واستغرق في تفكير عميق.

سأله الحصان: «ما الذي يشغل بالك، أيّها الأمير؟».

«أفكّر كيف يمكنني الوصول إلى الجزيرة، ولا أستطيعُ السباحةَ في عرض المحيط».

«اجلس فوق ظهري، يا أمير، وتمسّك بقوة».

هكذا، جلس الأميرُ بثبات فوق ظهرِ الحصان، وتمسّك بعرفِهِ الكثيفِ جيّداً. هبّت ريحٌ، وبدا البحرُ هائجاً، بعض الشّيء، لكن الفرس والفارس شقّا طريقهما، عبر الأمواج،

Twitter: @ketab_n

حتىّ وصلا أخيراً إلى شاطئ جزيرة الحياة الخالدة.

نزعَ الأميرُ سرجَ حصانه، وتركه حرّاً يرعى في المرجِ الوفيرِ، وغذّ خطاه باتجاه تلّة عاليةٍ، حيث تنمو شجرةُ البلوطِ العتيقةِ. احتضنها بكلتا يديه، وراح يهزّها، لكن الشجرةَ قاومت جميع محاولاته. استمرّ في هزّها، وبدأت الشّجرةُ تطقطقُ، وتتحرّك قليلاً. استجمع قواه كلّها، وهزّها ثانيةً. هوت الشّجرةُ، محدثةً ارتطاماً، وارتفعت جذورها إلى الأعلى، وهناك، حيث كانت تنغرسُ لمئاتٍ من السّنين ظهرت حفرةٌ عميقةٌ.

نظر إلى الأسفل، فرأى الصندوق المسوّر بالحديد، انتشله من مكانه، وفتحَ قفلَه بحجرٍ، ثم رفعَ الغطاءَ، وأمسكَ بالأرنبِ، المستلقي هناك، من أذنيه، ولكن في تلك اللحظة، وبعد أن استشعرت الخطر، طارت الأوزّةُ التي كانت تجلس تحت الأرنب، واختفت باتجاه البحر.

أطلقَ الأميرُ طلقةً باتجاهها، فاصابت الرصاصةُ الأوزّة، وهوت، مصدرةً أنيناً عالياً، ولكن في تلك اللحظة بالذات، سقطت منها البيضةُ- صوب أعماق المحيط. ندّت عن الأمير صيحةُ يأسٍ، ولكن سرعان ما رأى فرخَ سمك عملاق يسبح باتجاهه، ويغطسُ إلى أعماق البحر، ثم يعودُ إلى الشّاطئ، حاملاً البيضةَ بين فكّيه، ويتركها فوق الرّمل.

Twitter: @ketab_n

غطست السمكةُ في البحر واختفت. لكنّ الأمير، الذي التقطَ البيضةَ، امتطى صهوةَ حصانه من جديد، ليقطع معه البحرَ سباحةً، ويصل جزيرة الأميرة ميراندا، وهناك شاهدا سوراً حديداً عملاقاً، يطوّقُ قصرَها الرّخاميّ الأبيض.

كان يوجد مدخلٌ واحدٌ إلى القصر في هذا الجدار الحديدي، ولكن أمامه يستلقي التنين الرّهيب، ذي الرؤوس الاثني عشرة، والتي تتناوبُ ستة منها على حراسته، فحين ينامُ النصفُ الأول، يظلّ النصف الثاني مستيقظاً. وإذا تجرّأ أحدهم واقترب من البوابة، لن يستطيع الفرار من الفكّين المرعبين. ولا أحدَ يستطيعُ إلحاق الأذى بالتنين، لأنه لا يعاني الموت إلاّ على يديه هو.

وقف الأميرُ على التلّة المواجهة للبوابة، وأعطى أمراً لصولجانه الذي يقاتلُ من تلقاء نفسه، وله القدرةَ أيضاً على أن يكون لامرئياً، أمره بأن يذهب وينظّف المدخلَ المؤدّي إلى القصر.

انقضّ الصولجانُ اللاّمرئي، الذي يقاتل من تلقاء نفسه، على التنين، وبدأ يرعدُ ضارباً رؤوسه بتلك القوة الكبيرة، حتى أن عيونه كلّها غطّتها الدّماء، وبدأ يطلق فحيحاً رهيباً. نفض رؤوسه الاثنتي عشرة، وفتح أشداقَه الاثنتي عشرة المخيفة على وسعها، وأطلق

Twitter: @ketab_n

غايةَ مخالبه كلّها، لكنّ هذا لم يسعفه البتة، واستمر الصولجانُ في ضربه، متحرّكاً في كل اتجاه بسرعة فائقة، حتى إنه لم يسلم رأسٌ من ضرباته، وما كان له سوى أن يفحّ ويئنّ، ويصرخ بتوحّش! الآن، وبعد أن وجّه ألف ضربة، تدفّقت الدماء من ألف جرح، ولم يكن ثمة من يساعد التنين، فاستشاط غضباً، ولفّ حول نفسه، وراح يصرخُ في يأس كبير. أخيراً، وبعد أن تتالت الضرباتُ، الواحدة تلو الأخرى، ولم يكن ليرى مصدرها، كشّر عن أسنانه، وأطلق لهباً إلى الأمام، ووجّه مخالبه باتجاه نفسه، غارزاً إياها عميقاً في جسده، فراح يتلوّى، ويتألّم، ويتقلّب، علوّاً وانخفاضاً، وتدفّق دمه غزيراً من جراحِهِ كلّها ... وانتهى أمر التنين جثةً هامدة.

بعد أن شاهد ما حصل، دخل الأميرُ باحةَ القصر، وأودع حصانه الإصطبل، وصعد على درج حلزوني، نحو الأعلى، باتجاه البرج، حيث من هناك، وبعد أن رأته قادماً، خاطبته الأميرةُ، ميراندا، قائلةً:

«على الرّحب والسّعة، يا أمير هيرو! رأيتُ كيف تخلّصتَ من التنّين، ولكن كن حذراً، فعدوي، كوشّيه، لا يزال في هذا القصر، وهو مقتدرٌ جداً، بسبب قوتّه أولاً، وسحَرَته، ثانياً، وإذا استطاع قتلكَ، فلن أعيش أبداً».

Twitter: @ketab_n

«لا تقلقي بشأني، يا أميرة، ميراندا. إنّني أحملُ حياة كوشّيه في هذه البيضة». ثمّ نادى بأعلى صوته:

«أيّها الصّولجان، اللاّمرئي، الذي تقاتلُ من تلقاءِ نفسِك، ادخلْ إلى القصر، واضرب كوشّيه».

على الفورِ تحرّك الصّولجانُ، واقتحمَ الأبوابَ الحديديةَ، وانقضّ على كوشّيه، ضارباً إياه في العنق، فخرّ جاثماً، وبدأ الشّررُ يتطايرُ من عينيه، وسمع هديرَ طواحين كثيرة في أذنيه.

لو كان من البشر العاديين، لانتهى أمره في الحال، إذ تعذّب كثيراً، وحارَ في أمرِه– إنه يشعرُ بكلّ هذه الضربات، ولا يرى من أين تأتيه. نهضَ، وصرخ، وثارت ثائرته، حتى إن الجزيرةَ كلّها ردّدت أصداءَ زئيرِه.

أخيراً نظر إلى النافذة، ورأى الأمير هيرو، يقف هناك. فصرخ: «آه! هذا كلّه من صنيعك، إذن!»، وقفزَ باتجاه باحة القصر، مندفعاً نحوه، يريد جعله عصفاً مأكولاً. لكنّ الأمير كان مستعداً، ويمسكُ البيضةَ بيد واحدة، فعصرها بقوة كبيرة، حتى طقطقت القشرةُ، وسالَ البياضُ مع الصَفَار، وخرّ كوشّيه ميتاً بلا حراك!

Twitter: @ketab_n

ومع موت الساحر، انتهت مفاعيل سحره في الحال، واستيقظ جميعُ أهلِ الجزيرة، الذين كانوا نائمين، وبدأوا يتحرّكون. استيقظ الجنودُ أيضاً من نومِهم، وبدأت الطبولُ تضربُ، فنظّموا صفوفَهم، ووقفوا في أرتالٍ، وتوجّهوا إلى القصر.

في القصر، سادَ فرحٌ عارمٌ، فالأميرة ميراندا تقدّمت من الأمير، ومدّت له يدَها البيضاء، وشكرته بحرارة بالغة. وتوجّه الاثنان إلى قاعة العرش، وحذت حذو الأميرة وصيفاتها الاثنتا عشرة، اللواتي مشين، مثنىً مثنىً، مع اثني عشر ضابطاً من الجيش، وضربوا جميعاً طوقاً حول كرسي العرش، حيث يجلس الأميرُ والأميرةُ.

بعدئذ، ومن الباب المفتوح، دخل كاهنٌ، مرتدياً زيّه الرّسميَ، وتبادل الأمير والأميرة الخاتمين، وعقدا قرانهما.

وحذت حذوهما وصيفات القصر وضبّاطه، مثىً مثنىً، وتلت حفلةُ العرس، مأدبةَ عشاء فخمة، على وقع الموسيقى والرقص، و سُعِدَ الجميعُ، وشاعَ الفرحُ في كلّ مكان.

Twitter: @ketab_n

النسور

في قديم الزّمان، كان هناك ملكٌ فَقَدَ زوجتَه. وكانت لهما عائلة مؤلّفة من ثلاثة عشر فرداً- اثنا عشر ابناً وسيماً، وابنة وحيدة، فائقة الجمال.

ظلّ الملكُ حزيناً، حتى بعد مضي اثني عشر عاماً على وفاة زوجته، فكان يزورُ قبرَها كلّ يوم، ويبكي هناك، ويصلّي من أجلها، ويوزّع الصَدَقات على الفقراء. وقد عقَدَ العزمَ على أن لا يتزوج ثانيةً، لأنه وعد زوجتَه، أثناء احتضارها، أن لا يأتي لأولادِها بزوجة أب.

ذاتَ يوم، وبينما يزورُ قبرَ زوجته، كالمعتاد، رأى إلى جانبه فتاةً ساحرةَ الجمال، من وصيفاتِه، فوقعَ في حبّها، وسرعان ما جعلَ منها ملكتَه الثانيةَ. ولم يمض وقتٌ طويل حتى اكتشف أنه ارتكب خطأً جسيماً. فعلى الرّغم من جمالها الفائق، إلا أنهّا كانت ساحرةً شرّيرة، لم تجعل الملك نفسه بائساً فقط، بل كانت قاسية جدّاً تجاه أولاده، حيث أزاحتهم من طريقها، الواحد تلو الآخر، لكي تمهّد السبيل لابنها الصغير بوراثة المملكة.

Twitter: @ketab_n

ذات يوم، وبينما كان الملك يخوض حرباً، بعيدةً، ضدّ أعدائه، ذهبت الملكةُ إلى جناحِ أولادِ الملك، ونطقت ببعض كلمات السّحر- وعلى إثرها تحوّل كل واحد من الأمراء الاثني عشر إلى نسر، وطاروا بعيداً، وتحوّلت الأميرةُ الابنة إلى حمامة.

نظرت الملكةُ من النافذة لترى في أي جهة سيطير هؤلاء، فرأت تحت النافذة تماماً، شيخاً، يقف في الأسفل، لحيته ناصعة البياض كالثلج.

سألته: «ما الذي تفعله هنا، أيها الشيخ؟».

أجاب: «أنا هنا شاهدٌ على فعلتكِ».

«إذن، فقد رأيتَ كلّ شيء؟».

«أجل، رأيتُ كلّ شيء».

«إذن، كن ما آمركَ به!».

وغمغمت ببعض كلمات من السّحر. فاختفى الشيخُ، وذابَ في شعاع الشّمس، والملكة، التي كانت تقفُ هناك، خرساء من الرّعب، تحوّلت إلى حرباء زاحفة.

Twitter: @ketab_n

هربت الحرباء، واختفت مذعورةً، محاولةً الاختباءَ تحت الأرض. لكنّ نظرتهَا كانت مميتةً جدّاً، وتقتلُ كلّ من تنظرُ إليه، وسرعان ما انتهى سكّان القصر إلى موتى، بمن فيهم ابنها الوحيد، الذي قتَلَته بمجرّد النظر إليه. وتحوّل هذا المكان الملكي السعيد، الذي كان يضجّ يوماً بالحياة، إلى طلَلٍ مهجورٍ، لا يجرؤ أحدٌ على الاقتراب منه، خوفاً من الحرباء الزّاحفة المختبئة في دهاليزه السفلية.

في تلك الأثناء، كانت الأميرة، التي تحوّلت إلى حمامة، قد طارت، خلف إخوتها النسور، ولأنّها لم تستطع اللحاقَ بهم، حطّت لتأخذ قسطاً من الرّاحة، قرب مفترقِ طريقٍ جانبي، وراحت تهدلُ، باكيةً.

«ما الذي تنوحين من أجله، أيتها الحمامةُ الفاتنةُ؟» سألَ شيخ، بلحيةٍ ناصعةٍ كالثّلج، كان قد مرّ تواً.

«أبكي والدي العزيز المسكين، الذي يخوض حروباً في البعيد، وأبكي أخوتي الذين طاروا عنّي بعيداً، وتواروا في السّحب. أبكي حالي أيضاً. قبل وقت قصير فقط، كنتُ أميرةً سعيدةً، أمّا الآن، فأنا أتوه في هذا العالم كحمامة، وأختبأ من الطّيور الجارحة- وأفترق إلى الأبد، عن والدي الحبيب، وإخوتي!».

Twitter: @ketab_n

قال الشيخ: «يمكن أن تنوحي وتحزني، أيتها الحمامة الصغيرة، ولكن لا تفقدي الأمل. الحزن سيكون قصيراً، ومن ثمّ تنفرجُ الأمورُ في النهاية».

ما إن انتهى من كلامه، حتى لمسَ الحمامةَ الصغيرةَ، فاستعادت شكلَها الطبيعي. قبّلت يدَ الشيخ، تعبيراً عن امتنانها، وقالت:

«لا أملكُ من الكلمات ما يكفي لأعبرّ لك عن شكري! ولكن بما أنك لطيف وطيب جدّاً، هلاّ أخبرتني كيف يمكنني أن أنقذ إخوتي؟».

أعطاها الشيخ رغيفاً لا ينقصُ أبداً، وقال:

«هذا الرّغيفُ يكفي، ليس فقط لسدّ رمقكِ، بل رمق الآلاف من البشر، ولعدّة آلاف من السنين، من دون أن ينقصَ منه شيء. اذهبي إلى غروبِ الشّمسِ، واذرفي دموعَكِ في قارورةٍ صغيرةٍ. وحين تصبحُ ملآنةً ..».

ثم أخبرها ماذا ينبغي عليها أن تفعلَ، وباركَها، واختفى.

Twitter: @ketab_n

رحلت الأميرةُ إلى غروب الشّمس، وبعد مضي زهاء عام وصلت إلى حدود العالم الآخر، ووقفت أمام باب حديدي، حيث كان الموتُ، بمنجله، يقف حارساً.

قال: «قفي، أيتها الأميرة! لا يمكنكِ التقدّم خطوةً أخرى، لأن الموت لم يفرّقكِ بعد عن عالمكِ».

سألت: «ولكن، ماذا أفعل؟» هل أعود من دون إخوتي المساكين؟».

قال الموت: «إخوتكِ يحلّقون هنا كلّ يوم في شكل نسور. يريدون الوصول إلى الجانب الآخر من هذا الباب المؤدّي إلى العالم الآخر، لأنهم يكرهون ذاك الذي يعيش هنا، مع هذا، يجب أن ينتظروا، وأنتِ معهم، حتى يحين وقتهم. لهذا أقوم بإجبارهم يومياً على العودة، وهذا ما يستطيعون فعله، لأنهم نسور. ولكن كيف يمكنكِ أنتِ أن تعودي! انظري هناك!».

نظرت الأميرةُ حولها وبكت بمرارة. إذ، على الرغم من أنها لم تدرك هذا من قبل، أو تعرف كيف وصلت إلى هنا، اكتشفت الآن أنّها في هاوية سحيقة، محاطة من كل الجهات،

Twitter: @ketab_n

بجروف شاهقة، لدرجة أنها بدأت تتعجّب كيف يمكن لإخوتها الوصول إلى تلك القمّة، حتىّ بأجنحة النسور.

وتذكّرت ما كان قد قاله لها الشيخ الغامضُ، ما أمدّها بالشجاعة، وبدأت تصلّي وتبكي، حتى عبّأت القارورة الصغيرة بدموعها. وسرعان ما سمعت خفقَ أجنحةٍ ترفرفُ فوقها، ورأت اثنا عشر نسراً يحلّقُ.

اندفعت النسورُ تضربُ البوابةَ الحديديةَ بأجنحتِها، وتتوسّل للموت لكي يفتحها لها. لكنّ الموتَ هدّدهم بمنجله، وقال:

«هيّا من هنا، أيّها الأمـراء المسحورون! عليكم أن تفوا بكفّارتكم على الأرض، حتى أجيئكم أنا بنفسي».

كانت النسورُ على وشك الرّجوع، والتحليقِ بعيداً، حين، وعلى حين غرّة، شاهدوا شقيقتَهم. اقتربوا منها، وتحلّقوا حولها، وراحوا يداعبونَ يديها، بمناقيرهم، حبّاً.

على الفور، بدأت ترشّهم بدموعها، من القارورة، وبعد لحظة، تحوّلت النسور الإثني عشر إلى اثني عشر أميراً، وعانقوا أختهم، فرحين.

Twitter: @ketab_n

بعدئذٍ، أطعمتهم الأميرةُ من الرّغيف الذي لا ينقصُ أبداً. وبعد أن أسكتوا جوعَهم، بدأوا يفكّرون بطريقة للخروج من الهاوية السحيقة، ذلك أنهّم الآن لا يملكون أجنحةَ نسورٍ، يطيرون بها.

لكنّ الأميرةَ ركعت على قدميها، وراحت تصلّي:

«يا طائرَ الشّفقةِ السّماوي،

أستحلفكَ بكلّ دمعةٍ وصلاةٍ وتعبٍ،

أرسلْ قوّتكَ التي لا تنضبُ،

تعالَ وساعدنا في هذه السّاعة».

في تلك اللّحظة، هبطَ على الفور، من أعالي السّماء إلى سحيق الهاوية، شعاعٌ من ضوء الشّمس، ومعه هبط طائرٌ عملاقٌ، جناحاه ملوّنان كقوس قزح، وعرْفُهُ ريشٌ مُتلألئٌ، وفوق جسده كلّه توزّعت حدقاتُ الطّاووس. ذيلُهُ ذهبي، وصدرُهُ فضّي.

سأل الطائر: «ما هي أوامركِ، أيتها الأميرة؟».

«احملنا من عتبة الأبدية هذه إلى عالمنا».

Twitter: @ketab_n

«سأفعلُ ذلك، ولكن، ينبغي أن تعلمي، أيتها الأميرة، أنه قبل أن أصل إلى أعلى ذاك الجرف، وأنتم جالسون على ظهري، يجب أن تنقضي ثلاثة أيام بلياليها، ولابدّ من أن يتوفّر زادٌ خلال الرحلة، وإلاّ فإنّ قوّتي ستنهارُ، وسوف أسقطُ معكم إلى القاع، ونهلكُ جميعاً».

أجابت الأميرة: «بحوزتي رغيفٌ لا ينقصُ أبداً، يكفينا ويكفيكَ».

«اصعدوا، إذاً، فوق ظهري، وكلّما التفتّ بعنقي، ناوليني كسرةً من الخبز».

كان الطائرُ عملاقاً جداً، فوجد الأمراء بسهولة، ومعهم الأميرةُ، مكاناً فوق ظهره، وبدأ يطيرُ باتجاه الأعلى.

ظلّوا يطيرون بثبات ليومين بلياليهما، وفي اليوم الثالث، حين كبر أملهم برؤية قمّة الجرف، بعد وقت قصير، والهبوط عند حدود هذا العالم، التفتَ الطائر، كالمعتاد، طلباً لكسرة من الخبز.

وبينما كانت الأميرةُ على وشك أن تقتطعَ كسرةً وتقدّمَها له، هبّت ريحٌ عنيفةٌ مباغتةٌ من أعماق الهاوية، واختطفت الرّغيفَ من يدها، وأودت بها، تصفرُ نحو الأسفل.

Twitter: @ketab_n

وحيث أنه لم يتناول وجبتَه المعتادةَ، بدأت قوّةُ الطائر تضعُفُ، بشكلٍ ملحوظٍ، ونظَرَ حوله، مرّةً أخرى.

ارتعدت فرائصُ الأميرةِ خوفاً، إذ لم يبق شيءٌ في حوزتِها تقدّمهُ له، وشعرت أنّ قوّتها بدأت تخورُ. عند حافّة يأسِها، اقتطعت من لحمِها، وقدّمتهُ طعاماً للطائر.

بعد أن سدّر مقَه، استعاد الطائرُ قوّتَه، وطار إلى الأعلى بسرعة أكبر، عن ذي قبل، ولكن بعد ساعة أو اثنتين، التفتَ حوله من جديد.

اجتزأت قطعةً أخرى من لحمِها، والتقطها الطائرُ بنهم، وتابع طيرانه بسرعة فائقة، وفي غضون دقائق حطّ فوق القمّة. حين ترجّل الجميعُ، سألها:

«ما هما هاتان اللقمتان اللذيذتان اللتان قدّمتهما لي في نهايةِ الرّحلة؟ لم أذق في حياتي أطيب منهما البتّة».

«إنهّما جزءٌ من جسدي، إذ لم أكن أملكُ شيئاً آخر، أقدّمُهُ لكَ،» أجابت الأميرةُ، بصوتٍ خافتٍ، والإعياءُ ينالُ منها، بسبب الألم وفقدان الدماء. نفخَ الطائرُ فوق جراحِها، فشفي الجسدُ على الفور، ونما اللحمُ كما كان. ثمّ طار بعيداً، عائداً إلى السماء، متوارياً خلف الغيوم.

Twitter: @ketab_n

استأنفت الأميرةُ وإخوتها الرحلة، هذه المرّة باتجاه شروقِ الشّمس، ليصلوا، أخيراً، إلى بلدهم، حيث التقوا والدهم العائد توّاً من الحرب.

عاد الملكُ منتصراً على أعدائِه، وفي طريقِ العودةِ، سمعَ عن الاختفاءِ المفاجئِ لأبنائِه، وكذلك اختفاء الملكةِ، وكيف أنّ قصره بات مسكوناً بحرباء زاحفة، ذات نظرةٍ قاتلةٍ.

على ذلك، كانت فرحته لا توصف، ودهشته كبيرة، للقائه بأطفاله الأعزاء، وفي الطريق أخبرته ابنتُه بكلّ ما جرى.

حين وصلوا القصر، أرسل الملك أحدُ نبلائه، ومعه مرآة، إلى الدهاليز في الأسفل، ورأت الحرباءُ صورتهَا معكوسةً في المرآة، فقتلتها نظرتهُا على الفور.

تحلّق الجميعُ حول بقايا الحرباء، وقاموا بإحراقِها في نارٍ كبيرة أُشعِلت في الباحة الرئيسية، ثم رموا الرّمادَ، لتذروهُ الرّياحُ الأربعةُ. وبعد الانتهاء من كلّ هذا، عاد الملكُ، مع أبنائِه وابنتِه، ليعيشوا في بيتهم السّابق، سعداء إلى أبدِ الدّهر.

Twitter: @ketab_n

الزوبعة

في بلد قصيٍ، ناءٍ، خلف البحر والجبال، كان يعيشُ ملكٌ وملكةٌ، مع ابنةٍ جميلةٍ، تُدعى الأميرة «لادنا».

طلَبَ خطبَ ودّها أمراءٌ كثر، لكنّها لم تعشق إلاّ واحداً اسمه الأمير «دوبروتك»، وكشفا حبّهما، الواحد للآخر، أمام الملك، الذي أعطى موافقتَه، وتمّ تحديد يوم الزّفاف.

من بين المتودّدين الذين رفضتهم الأميرة، يوجد واحدٌ، كان قد بدّل جلده، وتنكّر في زيّ أمير، لكي يدخل إلى البلاط، ويجرب التودّد إليها، لكنه، في الحقيقة، كان قزماً بشعاً، لا يتجاوز طوله سبعة إنشات، ويربيّ لحية يتجاوز طولها سبع أقدام، وتوجد حدبة كبيرة في ظهره. انزعج كثيراً من الأميرة لأنهّا رفضته، وعقد العزم على أن يخطفها، وراح يتحيّن فرصته.

وبينما كان الزّوجان، مع أتباعِهم وضيوفِهم، يغادرون القصرَ، متوجّهين إلى الكنسية، هبّت ريحٌ قويةٌ، سرعان ما تحولت

Twitter: @ketab_n

إلى زوبعة كاسحة، وأثارت عموداً من الرّمل، ورفَعَت الأميرةُ من قدميها. حملتها الزوبعةُ فوق الغيوم، إلى قمّة جبلٍ لا يمكن لأحد الوصول إليها، وحطّت بها في قصرٍ خلاّب، سقفهُ من الذّهب، ويحيط به سورٌ من كلّ الجهات.

بعد برهة، استيقظت الأميرةُ من نوبةِ إغماءتها، التي كانت قد انتابتها. بدأت تنظرُ حولها، وتجولُ ببصرِها في أرجاء الغرفة العجيبة، ووصلت إلى نتيجة بأنّ أميراً وسيماً قد خطفها.

في الغرفة، كانت توجدُ طاولةٌ مُعَدّةٌ سلفاً، وفوقها كانت جميع الأطباق والسكاكين والملاعق والشّوك، مصنوعة من الفضّة والذّهب، والعشاءُ ذاتُه كان فاخراً، إذ، بالرّغم من حزنِها ورعبِها، لم تستطعْ أن تمنعَ نفسَها من تذوّقِه، وما إن بدأت تتذوّقُه، حتىّ راحت تأكلُ بنهم، وتشبعُ شهوتَها.

ثمّ انفتحت الأبـوابُ على مصاريعها، ودخلت ثلّةٌ من الزّنوج، تحملُ كرسياً ضخماً، يجلس فوقه القزمُ البشعُ، بلحيتِهِ الطويلةِ، وحدبتِهِ العملاقة.

بدأ القزمُ يسخّرُ بلاطَه للأميرة، ويشرحُ كيف حمَلَها متنكّراً في زيّ زوبعة، ذلك أنه أحبّها حبّاً عظيماً. لكنّها لم تصغِ إليه،

Twitter: @ketab_n

ووجّهت له صفعة مدوّية بيدِها اليمنى ، حتى تطايرَ الشرّرُ من عينيه. انتابه غضبٌ شديدٌ، بالطّبع، لكن حبّه لها جعَلَهُ يتحكّم بمزاجِه، واستدارَ محاولاً مغادرة الغرفة. ولأنه كان في عجلة من أمره، علقت لحيته بين قدميه، فتدحرج مرمياً إلى العتبة، وفي أثناء سقوطه، وقعت قبّعته، التي كان يحملها بيدٍ واحدة.

ساعده الزنوجُ للجلوسِ على الكرسي، وحملوه إلى الخارج. لكنّ الأميرة قفزت من مكانِها، وأقفلَت البابَ، والتقطت القبّعةَ التي كانت مرميةً على الأرض. وضعتها على رأسها، وهرعت إلى المرآة لترى كيف تبدو صورتها. وكم كانت دهشتها كبيرة حين اكتشفت أنها لا تستطيع أن ترى نفسها، إلاّ عندما خلَعَتها! ووصلت إلى الاستنتاج الحكيم بأنّ هذه هي قبعة الإخفاء، وهذا ما أدخل البهجةَ إلى قلبِها. ارتدت القبّعة ثانيةً، وبدأت تتجوّل في أرجاءِ الغرفة.

انفتحَ البابُ من جديد، ترافقه جَلَبَةٌ مسموعةٌ، ودخلَ القزمُ، بلحيته الطويلة المرمية خلف ظهره، والمبعثرة فوق حدبته، اتقاءً منها في سيره. وعندما لم ير الأميرة، ولا القبّعة، حدس على الفور بما جرى. بدأ يجري بجنون في عرض الغرفة وطولها، يعتريه يأسٌ عارمٌ، ويضرب بجسده الطّاولات والكراسي، بينما وجدت الأميرة مهرباً، عبر الباب، وهرعت باتجاه الحديقة.

Twitter: @ketab_n

كانت الحديقةُ رحبةً مملوءةً بالأشجار المثمرة الجميلة، فعاشت الأميرة، لبعض الوقت، على هذه الثمار، وشربت من مياه النبع في الحديقة. وتعلّمت كيف تسخر من الغضب العقيم للقزم. فأحياناً، حين يندفع هائجاً إلى الحديقة، كانت تناكدُهُ، بخلع قبّعةِ الإخفاء، فيراها أمامه، بكلّ جمالها، ولكن حين يندفع باتجاهها، تضع القبّعة، وتصبحُ لامرئيةً من جديد، وترمي حبّات الكرز باتجاهه، وتقترب منه أكثر، وتضحكُ بصوتٍ عالٍ، ثم تفرّ هاربةً، وهكذا دواليك.

ذات يوم، وبينما تلعبُ بالطريقة نفسها، علقت قبّعتها بأحد الأغصان، وسقطت فوق دغلٍ من أشجارِ عنبِ الثّعلب. رأى القزمُ هذا، فأمسكَ بالأميرة بيد، وبالقبّعة باليدِ الأخرى. ولكن، في تلك اللّحظة بالذّات- ومن أعلى قمّة الجبل، فوق الحديقة نفسها، سُمِعَ صوتُ البوقِ، يتكرّر مرّات ثلاثة.

ارتجفَ القزمُ غضباً لدى سماعِهِ ذلك. وسرعان ما نفخَ على الأميرة، فأخلدت إلى النّوم، من أنفاسه، ووضع قبّعةَ الإخفاء على رأسِها. بعد أن قام بذلك، أمسكَ بسيفِهِ ذي الشّفرتين، وطار خلف الغيوم، مصمّماً على لقاءِ ذاك الفارس الذي يتحدّاه في الأعلى، والإجهاز عليه بضربة واحدة.

ولكن، من أين أتى هذا الفارس؟

Twitter: @ketab_n

حين تمّت عمليةُ خطفِ الأميرة «لادنا»، في يومِ زفافِها، على يدِ الزّوبعة، دبّ ذعرٌ كبيرٌ في صفوفِ المتفرّجين. اندفعَ والدُها المصدوم مع عريسِها وراحا يبحثان عنها في كلّ اتجاه، وأرسلا الخدم للتحرّي في كلّ مكان، لكنهم لم يروا الأميرةَ، ولم يسمعوا عنها خبراً، ولم تترك أثراً خلفها.

أخبر الملكُ الأميرَ «دوبروتك» (ولم يكن هذا ضرورياً) أنه إذا لم يقم باسترجاعِ ابنته، الأميرة، لن يحكم عليه بالموت فقط، بل سوف يحيلُ بلدَه بأكمله إلى رماد. كما أنه أخبر الأمراء هناك، أنّ من يستطيع العثور عليها، سوف تكون الأميرة زوجة له، ويمنحُه، كجزء من الصفقة، نصف المملكة.

حين سمعوا بذلك، أسرع الجميع إلى امتطاء جيادهم، وتفرّقوا في كلّ الاتجاهات، بمن فيهم الأمير «دوبروتك».

ظلّ يسير لأيام ثلاثة، لم يتوقّف خلالها لكي يحتسي الماء أو يتناول الزّاد، ولكن في اليوم الرابع، ومع هبوط الغروب، غَلَبَهُ النّعاسُ، فترك حصانه يرعى حراً في المرج، بينما استلقى هو على العشب. ثم سمع، على حين غرّة، صرخةً حادّةً، ورأى أمامه تماماً أرنباً بريّاً، وقفت فوقه بومةٌ، راحت تحفر بمخالبها في خاصرة الكائن المسكين.

Twitter: @ketab_n

أمسك الأمير بـأوّلِ شيءٍ وقعت عليه يده، وصوّب بدقةٍ محكمة باتجاه البومة الناعبة، فأرداها قتيلةً على الفور، فركض الأرنبُ نحوه مثل حيوانٍ أليفٍ، ولحسَ يديه وفرّ هارباً.

ورأى الأميرَ أن الشّيء الذي رماهُ وقتل به البومة لم يكن إلاّ جمجمةً بشرية، وتحدّثت إليه بهذه الكلمات:

«أيّها الأمير، دوبروتك، أشكركَ لما فعلتَهُ من أجلي. حين كنتُ على قيدِ الحياة، أقدمتُ على الانتحار، فحُرِمتُ من الدّفن، وحُكِمَ عليّ أن أبقى مرمياً، فوق هذا المفترق، إلى أن يأتي وقتٌ وأُصبِحُ فيه وسيلةً لإنقاذِ حياةٍ أخرى. مضى عليّ مرمياً هنا سبعمائة وسبع وسبعين سنةً، والسّماء وحدها تعرفُ كم كنتُ سأمضي من الوقت، لو لم تصدفني هنا، وترمي بي تلك البومة الناعبة، لتنقذَ حياةَ الأرنب المسكين. ادفني الآن، لأرقدَ بسلامٍ في باطنِ الأرض، في هذه البقعة بالذات، وسوف أخبركَ كيف تُحضرُ الحصانَ الرائي، البنيّ اللّون، بغرّته الذهبية، والذي سوف يساعدكَ دائماً في وقت الحاجة. اذهب إلى السّهل، ومن دون أن تنظر خلفكَ، نادي بأعلى صوتكَ:

«أيّها الحصانُ الرّائي، البنيّ اللّون، بغرّتكَ الذهبية!

Twitter: @ketab_n

مثل عصفورٍ– وليس مثلَ جوادٍ،

على صاعقةٍ– وليس مثل العسل،

طرْ وتعال إليّ!».

بعد أن نطق بهذه الكلمات، توقّف الرأسُ عن الكلام، بيد أن ضوءاً أزرق انطلق منه، باتجاه السّماء. إنّها روح المتوفّى، التي، بعد أن كفّرت عن إثمها، عبر مكوثها طويلاً داخل الجمجمة، فازت بالسّماء.

بعدئذٍ، حفر الأميرُ قبراً ودفَنَ الجمجمةَ. ثم نادى قائلاً:

«أيّها الحصانُ الرّائي، البنيّ اللّون، بغرّتكَ الذهبية!

مثل عصفورٍ– وليس مثلَ جوادٍ،

على صاعقةٍ– وليس مثل العسل،

طرْ وتعال إليّ!».

هبّت الريّحُ، ولمعَ البرقُ، وزأر الرّعدُ، وظهرَ الحصانُ العجيبُ، بغرّته الذّهبية. طار أسرعَ من عصفِ الرّيح، وتطايرَ اللّهبُ من منخريه، والشّررُ من عينيه، وسُحبُ الدّخان من فمِهِ. وقفَ بثباتٍ وقال، بنبرةٍ بشريةٍ:

Twitter: @ketab_n

«ما هي أوامرُك، أيّها الأميرُ، دوبروتك؟»

«أنا في محنة، أرجو أن تساعدني».

ثم أخبَرَهُ بكلّ ما حدث.

قال الحصان: «ازحفْ داخل أذني اليسرى، ثم اخرج ثانيةً من أذني اليمنى».

زحفَ الأميرُ داخل أذنِ الحصان اليسرى، وخرجَ من أذنه اليمنى، مسربلاً، من رأسه حتى أخمص قدميه، بدرعٍ ذهبية. ووجد قوّته قد تضاعفت، كأنّما بفعل معجزة، إذ حين وضَعَ قدمَه على الأرض، اهتزّت من تحته، وحين صرخَ، هبّت عاصفةٌ، أسقطت الأوارقَ عن الشّجر.

ثمّ سألَ الحصانَ:

«ما هي الخطوة التالية؟».

قال الحصان: «خطيبتكَ، الأميرة لادنا، خطفَها القزمُ الذي يبلغُ طوله سبعة إنشات، وطول لحيته سبعة أقدام، وهو ساحرٌ قدير. إنه يسكن خلف البحار السبعة، بين جبال وعرة، لا يمكن الوصول إليها. ولا يمكن قهره إلاّ بالسيف القاطع البتّار الذي

Twitter: @ketab_n

يحرسه بعناية فائقة شقيقُهُ الرأسُ العملاق، بعينِ حرباء. إلى هذا الرأس العملاق، إذن، ينبغي أن نتوجّه».

امتطى الأميرُ «دوبروتك» صهوةَ الحصان، وطارا معاً مثل السّهم، فوق البحار والبلدان، فوق الجبال الشّاهقة والمحيطات الرحبة. توقّفا أخيراً في سهلٍ فسيح، مكسوٍ بالعظام، أمام جبلٍ متحرّكٍ. وهنا قال الحصانُ:

«هذا الجبل المتحرّك، الذي تراه أمامك، هو رأس العملاق، بعينيّ الحرباء، والعظام المتكدّسة الكثيرة، تبرهنُ كم هي مميتة نظراته– لذلك كن حذراً. إنه نائم الآن بسبب حرارة الشّمس، وعلى بعد خطوتين منه فقط، يوجدُ السّيفُ، الذي به وحده تستطيع أن تقهرَ عدوّك. استلقِ فوق ظهري، حتى لا تصلك نظراته، عبر رقبتي وصهوتي، وحين تقتربُ منه، اقبضْ على السّيف، وحين يصبحُ بحوزتكَ، لن تكون فقط بمأمنٍ من نظراتِه الحربائية، بل سيكونُ رأسُ العملاق نفسه تحت رحمتكَ».

خلسةً اقتربَ الحصانُ من البقعة، وانحنى الأميرُ، قابضاً على السّيف العجيب. وأطلق صرخةً قويةً أيقظت الرأسَ العملاقَ، الذي بدأ يعطسُ بقوة، وينظرُ حوله بعينيه المعفّرتين بالدم. حين رأى السيف في يدِ الأمير، نادى بأعلى صوته:

Twitter: @ketab_n

«أيها السيد الفارس! هل تعبتَ من هذا العالم لتنشدَ موتَكِ السّريع؟».

أجابه الأميرُ دوبروتك: «لا ينبغي أن تتبجّح بهذه الطريقة، أيّها الرأس الفارغ! فنظراتُكَ لن تؤذيني الآن، وسوف تموتُ بهذا السّيف القاطعِ البتّار! لكنني أودّ أن أعرفَ من أنت وماذا تكون».

أجاب الرأسُ: «إني، أعترف، إذن، أيّها الأمير، ولأنني الآن رهن قوتكَ، كن رحيماً عليّ، فأنا استحقّ الشفَقَةَ. أنا فارسٌ أنحدرُ من عرقِ العمالقة، ولولا حسدُ شقيقي، لكنتُ ما أزالُ سعيداً. إنه النعجة السوداء في عائلتنا، وقد وُلِدَ قزماً بشعاً، بلحيةٍ طويلة، وملامحي الوسيمةُ كعملاقٍ أدخلت الكراهيةَ الشّديدةَ إلى قلبه، والفضيلةُ الوحيدةُ التي يتمتّعُ بها هي قوّته العظيمة، وسرّها يكمنُ في لحيته الطويلة، وطالما أنه لن يأتي من يقصّها له، لن يستطيعَ أحدٌ هزيمتَه، ووحدُهُ السّيف الذي تحملُه في يدِكَ قادرٌ على فعلِ ذلك».

«ذات يوم، وبينما كان ينوي القضاءَ عليّ قال لي: أخي، لا ترفض مدّ يد المعونة لي. لقد قرأتُ في كتب السّحر التي بحوزتي أنه خلف الجبال، وفوق سهل فسيح، ثمة سيف مدفون، سوف

Twitter: @ketab_n

يأتي فارسٌ، يبحث عن خطيبته، ويجُهز به على كلينا. دعنا نذهب، إذن، وننبشُهُ، وننجو، بالتالي، من قدرنا المحتوم الذي يهدّدنا! ووافقتُ على طلبِه. أخذتُ، بذراع واحدة، شجرةَ صنوبر، عمرها مئة سنة- مقتلعة من جذورها- وحملتُ أخي على الذراع الثانية. انطلقنا معاً، ودلّني على البقعة، فنبشتُ السّيفَ، من هذا السّهل الذي تراه أمامكَ. وبدأنا نتشاجر حول من ينبغي أن يبقي السيف في حوزته. وبعد جدالٍ طويلٍ قال: الأفضل أن نحسم خلافنا بالقرعة، يا أخي. دعْ كلاً منّا يضعُ أذنَه على الأرض، ومن يسمع أولاً صوتَ جرس المساء، يملكُ السيفَ. وهكذا وضع أذنه فوق الأرض، وأنا وضعتُ أذني. أصغيتُ ملياً، ولم أسمع شيئاً. أما هو، وبعد أن وضع يدَه على السّيف، زحفَ باتجاهي، وقطعَ رأسي عن كتفيّ».

«بقيتْ جثتي، التي بلا رأس، من دون دفنٍ، تتفسّخُ، ونما العشبُ فوقها. لكنّ رأسي، الذي مُنِحَ قوّةً خارقةً على يدِ القزم الشّرير، أخي، فتُركَ هنا، يحرسُ هذا السّيفَ، ويقتلُ بنظرتِه المميتةِ كلّ من يجرؤ على الاقتراب منه. بعد قرون طويلة، فزتَ بالسّيف، ولذلك أتوسّلُ إليكَ بأن تقصّ لحيتَه، التي تبلغُ سبعةَ أقدامٍ، وافرمْ لحمَه فرماً، وانتقمْ لي».

Twitter: @ketab_n

قال الأميرُ: «سوف تأخذُ ثأركَ، احملني، في الحال، أيّها الحصان البني، طرْ بي إلى مملكة السّاحر القزم، صاحب اللّحية التي يبلغ طولها سبعة أقدام».

وهكذا انطلقا على الفور، وحلّقا بسرعة البرق في الهواء، فوق البحار، وفوق الغابات. وفي غضون ساعة أو اثنتين، هبطا فوق قمّة جبل شاهق، وقال الحصانُ:

«هـذه الجبال هي مملكة الساحر القزم، الـذي اختطف خطيبتكَ، الأمـيرة، وهما الآن في الحديقة، معاً، فلتدعه إلى مبارزة».

كرّر الأميرُ «دوبروتك» التحدّي مرات ثلاثاً، والقزم، مثلما رأينا، قفز في الهواء، محاولاً القضاء على خصمه، الذي لا يراه.

حالاً، سمعَ الأميرُ صوتَ همهمةٍ في الأعلى، ورأى، حين نظر فوقَه، القزمَ يحلّقُ مثل نسرٍ بين الغيوم- إذ إنهُ يملكُ القدرةَ على زيـادةِ حجمِهِ وقوّتِهِ- ويمتشقُ سيفَه، متأهّباً للانقضاضِ عليه.

قفز الأميرُ إلى جهةٍ جانبيةٍ، وانقضّ القزم بتكل الحماسة المنقطعة النظير، حتى إن رأسه ورقبته ارتطما بالأرض.

Twitter: @ketab_n

نزل الأميرُ عن صهوة حصانه، وأمسكَ القزمَ من لحيته، ولفها حول يده اليسرى، وبدأ يجزّها بالسيف القاطع البتّار. رأى القزم أنه يتعامل مع فارس لا ينام على سرير من ريش، فاستجمع قواه كلّها، وطار بعيداً من جديد، خلف الغيوم، لكنّ الأمير الذي ظلّ ممسكاً بيده اليسرى بلحيته، استمرّ في قصّها، بواسطة السيف، وأجهز على أكثر من نصفها، وأصبح القزمُ أضعف، فأضعف، مع خسرانه لمزيدٍ من الشَعر، وبدأ يبكي ويتوسّل.

قال الأمير: «انزل إلى الأرض، ولتتخلّ عما سرقته مني».

هبط القزمُ بطيئاً، وهرع الأميرُ في قصّ ماتبقى من اللّحية، ثم رماه على الأرض- بعد أن جُرّد من قوّته وسحره- ولفّ لحيته المقصوصة حول خوذته، ودخل القصرَ.

الخدمُ اللامرئيون للقزم، وبعد أن رأوا اللحيةَ المقصوصةَ لسيّدهم ملفوفةً حول خوذةِ الأمير، فتحوا جميعَ الأبواب على مصاريعها، في الحال.

راح يبحثُ في أرجاء القصرِ، غرفةً، غرفةً، لكنّه لم يعثر على أميرته، فذهب إلى الحديقة، مخترقاً جميع الممرّات والمنحنيات، منادياً باسمها. لكنه لم يجد لها من أثر.

Twitter: @ketab_n

وبينما هو يهرع من مكان إلى آخر، شاهد، مصادفةً، قبّعةَ الإخفاء، فالتقطها، وسحبَها من حيث كانت، فوق رأسِ الأميرة، فرآها بكلّ جمالها، لكنها كانت تغطّ في نوم عميق.

ولما كانت السعادة تغمرُهُ، ناداها باسمِها من جديد، لكنها كانت غارقة في نومٍ عميقٍ، تسبّبت به الأنفاسُ المسمومة للقزم، ولم يستطع أن يوقظَها.

حملها بين ذراعيه، ووضع قبّعةَ الإخفاء في جيبه، وظلّ ممسكاً بالقزم الشّرير، واصطحبه معه. امتطى حصانه، بعدئذ، وطار كالسّهم، وخلال بضع دقائق، كان يقفُ أمام الرأس العملاق، بعينيه اللّتين تشبهان عيني الحرباء.

رمى بالقزم داخل فكّيه المفتوحين، فطُحن طحناً، متحولاً إلى مسحوق، وقطّعَ الأميرُ الرأسَ الرّهيبَ نتفاً صغيرة، وبعثرها في كلّ أرجاء السّهل.

وبعد أن تخلّص من القزم والعملاق معاً، امتطى الأميرُ، برفقة الأميرة النائمة، صهوةَ الحصان ذي الغرّة الذّهبية، ومع غروب الشّمس، وصلوا إلى مفترق الطرق نفسه، حيث كان قد نادى على الحصان.

Twitter: @ketab_n

قال صاحب الغرّة الذهبية: «هنا، أيّها الأمير، ينبغي أن نفترق، ولكن هنا، في هذا السّهل، يوجد حصانكَ، غير بعيدٍ عن منزلكَ. ولكن، الآن، ازحف داخل أذني اليمنى واخرج من اليسرى».

فعل الأميرُ ما طلبه منه، وخرج مثلما كان قد ظهرَ في البداية. سرعان ما تعرّف حصانَه عليه، وأتى يعدو نحوه، مطلقاً صهيله، احتفاءً بقدومِ سيّدِه».

شعر الأميرُ بالتعب من وعثاء الرّحلة الطويلة، وبعد أن أراح زوجته الأميرة، التي كانت لا تزال نائمة، فوق العشب الناعم، وغطّاها من البرد، استلقى قربها واستسلم للنوم.

ولكن في تلك اللّيلة ذاتها، رأى أحدُ الذين خطب ودّ الأميرة «لادنا»، وكانت قد رفضته، رأى بواسطة ضوء القمر هذين النائمين، وعرف أنهّما الأميرة والأمير، خصمه المحظوظ. طعن الأمير بخنجره، أولاً، ثم خطف الأميرةَ، ووضعها على ظهر الحصان، أمامه، وأحضرها إلى والدها.

رحّب به الملكُ ترحيباً كبيراً، بوصفه المخلّص لابنتِه. ولكن حين وجد أنه لا يستطيعَ أن يوقظَها، رغم لمساته الخفيفة المتكرّرة، غضب غضباً شديداً، وسألَ المنقذ المزعوم عمّا يعنيه كلّ هذا.

Twitter: @ketab_n

أجاب الفارسُ: «لا أدري، ياسيّدي الملك، بعد أن أجهزتُ على السّاحر العظيم الذي خطفَ الأميرةَ، وجدتُها، مثلما هي عليه الآن، غارقةً في سباتٍ عميق.

الأمير دوبروتك، الذي أصيب بجروحٍ قاتلة، كانت لديه بقية من قوّة لكي يستدعي الحصانَ البنيّ العجيب، الذي حضَرَ على الفور. وما إن رأى ما حدث، حتى طار الحصانُ إلى قمّة جبلِ الحياة الأزلية. فوق قمّته، توجدُ ينابيع ثلاثة: مياه الاسترخاء، ومياه الشفاء، ومياه الحياة. رشّ على الأميرِ الميتِ من الأنواع الثلاثة. فتح الأميرُ عينيه، وصرخ مندهشاً:

«آه، كم كان نومي لذيذاً!».

ردّ صاحبُ الغرّة الذّهبية: «كنتَ تنامُ نومَ الموتى، أحدُ خصومكَ قتلكَ وأنتَ نائمٌ، وخطفَ الأميرةَ، عائداً بها إلى والدِها، مدّعياً أنه مخلّصها، على أمل الفوز بيدها. ولكن، لا تخف، فهي لا تزالُ نائمةً، وأنتَ وحدكَ من يستطيعُ إيقاظَها، إذا جعلتَ لحيةَ القزم، التي بحوزتكَ، تلامسُ جبهتَها. فلتذهب إليها إذن، وأنا سأكون في مكان آخر».

Twitter: @ketab_n

اختفى صاحبُ الغرّة الذهبية، والأمير الذي نادى حصانه، وأخذ معه قبعة الإخفاء، وتوجّه إلى منزلِ والدِ حبيبتِه.

ولكن حين اقترب أكثر، وجد أنّ المدينةَ محاصرة بالأعداء، الذين استولوا توّاً على الثغور الشّمالية، وبدأوا يهدّدون البلدةَ ذاتهَا، وقد قُتل نصف الجنود المدافعين عنها، والبقية تفكّر بالاستسلام.

وضع الأميرُ قبّعة الإخفاء، وامتشق سيفه القاطع البتّار، وانقضّ على الأعداء.

فبدأوا يتساقطون بمنةً ويسرةً، حيث يصيبَهم السّيفُ، وقُتِلَ من قُتل، وفرّ الباقي منهم إلى الغابة.

دخل الأميرُ المدينةَ، لا يراه أحدٌ، ووصلَ القصرَ الملكي، حيث كان الملكُ، محاطاً بالفرسان، يصغي لحكاية الهجوم المباغت، الذي هزَمَ أعداءَه، ولكن لم يستطع أحدٌ إخباره عمن كان وراء الهجوم.

خلع الأمير «دوبروتك» قبّعة الإخفاء، وظهر فجأةً في الاجتماع، ثم قال:

Twitter: @ketab_n

«أيّها الملكُ والأب! أنا الذي هزَمتُ أعداءكَ. ولكن أين هي حبيبتي، الأميرة، لادنا، التي أنقذتها من القزم الساحر، بلحيتِه التي تصلُ إلى سبعة أقدام؟ لقد اختطفها أحدُ فرسانكم منيّ غدراً. دعوني أرها، وأوقظها من نومِها السّحري».

حين سمع الفارسُ الخائنُ هذه الكلمات، ولّى الأدبارَ، ولمس الأميرُ «دوبروتك» جبهةَ الأميرة النائمة باللّحية، فاستيقظت على الفور، وحدّقت به بشوقٍ عارم، من خلف عينيها الجميلتين، لكنها لم تستطع، في البداية، أن تستوعب أين هي، وماذا حدث لها.

حضنها الملكُ بين ذراعيه، وضمّها بقوّةٍ إلى قلبِه، وفي الأمسية ذاتها، زوّجها إلى الأمير «دوبروتك»، وأعطاهما نصفَ مملكتِه، وأقيم لهما زفاف مذهل، لم يحدث أن سمع أو رأى أحدٌ مثله من قبل.

Twitter: @ketab_n

حوذي القارب وحوريات الماء

في قديم الزّمان، كان هناك شيخ، فقير الحال، وله أبناءٌ ثلاثة. كانوا يكسبون عيشهم، بشكل رئيسي، من خلال نقل النّاس على متن عبّارة، فوق النهر، من ضفّة إلى أخرى. لكنّ الرّجلَ لم يفارقه سوءُ الطالعِ طوال حياته. وهذا ما وصل ذروته في اللّيلةِ التي توفي فيها، إذ هبّت زوبعةٌ عظيمةٌ أغرقتْ قاربَ العبّارة، القديمَ والمجنونَ، والذي كان أبناؤه يكسبون منه قوتَ يومِهم.

وبينما هم يندبون موتَ والدهم، وفقرَهم المدقعَ، مرّ بهم شيخ، وبعد أن عرف سببَ حزنهِم، قال:

«هوّنوا عليكم، ستكون الأمور على ما يُرام في الوقت المناسب. انظروا! هذا هو قاربكم، جديد ومتين».

Twitter: @ketab_n

وهناك رأوا القاربَ، جديداً ومتيناً، يطفو على الماء، تماماً حيث كان القارب القديم، وثمة ثلة من الناس تنتظرُ دورها للانتقال إلى الضفّة الأخرى.

نسّقَ الإخوةُ الثلاثةُ أدوارَهم للإشرافِ على العبّارة، وتقسيمِ الدّخل فيما بينهم. وكانوا، على أي حال، مختلفين في طبائعهم. فالأخّان الأكبر سنّاً، جشعان حسودان، وكانا لا ينقلان أحداً إلى الضفة الأخرى إلاّ إذا دفع لهما بسخاء. أما الأصغر فكان ينقلُ الناسَ الفقراء، ممن لا يملكون مالاً، من دون أن يدفعوا شيئاً، بل كان كثيراً ما يفرّجُ كربتهم، بالإحسانِ عليهم من جيبِهِ الخاصّ.

ذات يوم، وعند غروب الشّمس، حين كان الأخُ الأكبرُ يشرفُ على القارب، أتى الشخ نفسُه، الذي كان قد زارَهم في ليلةِ وفاةِ والدِهم، وطلب منه العبور.

قال: «لا أملكُ ما أدفعُهُ لكَ سوى هذا الجزدان الخاوي».

أجاب حوذيّ القارب: «اذهب، وضع فيه شيئاً، أوّلاً، واغرب عن وجهي الآن!».

في اليوم التالي، كان دورُ الأخ الثاني، فأتى الشيخ نفسُه، وقدّمَ جزدانَه الخاوي أجرةً لعبورِهِ. لكنّه سمعَ ردّاً مشابهاً.

Twitter: @ketab_n

في اليوم الثالث، كان دورُ الأخ الأصغر، وحين وصلَ الشيخ، وطَلَبَ أن يُسمَحَ له بالعبورِ كصدَقَةٍ، أجاب الشابّ:

«نعم، ادخل، أيها االشيخ».

سأل الشيخُ: «وما هو الأجر؟».

«هذا يتوقّفُ على قدرتكَ على الدّفع أم لا، وإذا لم تستطعْ فالأمرُ سيّان عندي».

قال الشيخ: «العملُ الصالح لا يمكن أن يمرّ من دون أجر، ولكن، لتأخذ هذا الجزدانَ الفارغَ، الآن، الذي يبدو بالياً، ولا يساوي شيئاً، لكن، إذا هزَزتُه وقلتَ:

كرمى لمن منحني إياه، أتمنىّ أن يمتلأَ

هذا الجزدان، الذي أحملُ، بالنقود الذّهبية؛

سوفَ يوفّرُ لكَ دائماً كلّ ما تحتاج إليه».

عاد الأخُ الأصغرُ إلى المنزلِ، وبدأ أخواه اللذان كان يجلسان حول مأدبة عشاء فاخرة، يسخران منه، لأنه لم يحصل سوى على دارهم نحاسية قليلة، في ذاك اليوم، وأخبروه أنه محرومٌ من عشائه. ولكن حين بدأ يهزّ جزدانَه،

Twitter: @ketab_n

والنقودُ تتساقطُ منه في كلّ مكان، قفزا عن الطاولة، وراحا يلتقطانها بنهم كبير.

وبما أنّ الأمر تقاسم حصص فيما بينهم، صار الجميعُ أغنياء، بسرعة قياسية. الأخ الأصغرُ سخّر ثروته لفعل الخير، لأنه راح يوزّع المالَ مجاناً على الفقراء. لكنّ شقيقيه حسداه على امتلاكِ الجزدان العجيب، وتآمرا على سرقتِه منه. هكذا، غادرا بيتهما العتيق، واشترى أحدهما سفينة، عبّأها بكلّ أنواع البضائع، وبدأ رحلةً طويلةً. إلا أن السفينةَ اصطدمت بصخرة في عرض البحر، وغرق جميع من كان على متنها. ولم يكن الأخُ الثاني أفضل حظّاً، إذ، وبينما كان يسيرُ في الغابة، حاملاً كنزاً ثميناً من الأحجار الكريمة، سخّر له ثروته كلّها، حالماً ببيعِها وجني أرباحٍ طائلة من ورائها، اعترض طريقه اللصوصُ، وقتلوه، وتقاسموا ثروتَه فيما بينهم.

أما الأخُ الأصغر، الذي ظلّ ماكثاً في المنزل، فصار أكثر فقراً من ذي قبل، بعد أن فقدَ جزدانَه. لكنّه ظلّ يفعلُ، ما اعتاد عليه في السابق، يأخذ الأجرة ممن يستطيعون الدّفع، وينقلُ الناس الفقراء بالمجّان، ويعمل ما بوسعه لمساعدة من هم أكثر فقراً منه.

Twitter: @ketab_n

ذات يوم، أتى الشيخُ نفسُه، بلحيتِه البيضاء الطويلة، ورحّب به حوذيّ القارب كصديقٍ قديم، وأخبرهُ، أثناء رحلة في النّهر، بكلّ ما حدث، منذ أن رآه في آخرِ مرّة.

قال الشيخ: «ارتكب شقيقاك خطأً جسيماً ودفعا الثمن، لكنّك أنت أيضاً ارتكبتَ خطأً. مع ذلك، سوف أمنحكَ فرصةً أخرى. خذ هذه الصنّارة وهذا الخيط. وكلّ ما تصطادُهُ، تمسّكْ به، و لاتدعه يفلتُ منك، وإلاّ ستندمُ ندماً شديداً».

اختفى الشيخ، بعد ذلك، ونظرَ حوذيُ القاربِ باندهاشٍ إلى أدوات صيده الجديدة- صنّارة من الألماس، وخيطٌ من الفضّة، وسلكٌ من الذّهب.

قفزَت الصنّارة وحدَها في الماء، واستطالَ الخيطُ ليشملَ مجرى النهر بطولِه، وشعر الحوذيّ بشدّ قويٍ في نهايتِه. سحبه الصيادُ باتجاهه، وشاهد أجمل مخلوق على الإطلاق: من خصرِها إلى الأعلى امرأةٌ، ولكن لها ذيلُ السّمكة.

قالت: «أيها الصيّاد الطيّب، أطلقْ سراحي، انزعْ صنّارتكَ من شعري! إنّ الشّمسَ تغربُ، وبعد غروبِها، لا يمكنني أن أكونَ حوريةَ بحرٍ ثانيةً».

Twitter: @ketab_n

ولكن، ومن دون أن ينطقَ بكلمة، تمسّك بها حوذيّ القارب بكلّ قوّة، وغطّاها بمعطفه، ليمنعَها من الهربِ. غربت الشمسُ، بعدئذٍ، وفقدت السمكةُ-الحوريةُ ذيلَها.

قالت: «الآن، أنا لكَ؛ دعنا نذهبُ إلى أقربِ كنيسة، ونعقِدُ قرانَنا».

كانت ترتدي توّاً ملابسَ العروس، مع إكليلٍ من الرّيحان فوق رأسِها، وفستانٍ ناصعِ البياض، يحيطُ به زنّارٌ له ألوان قوسِ قُزَح كلّها، مع مجوهراتٍ ثمينة في شعرِها، وحول عنقِها. في يدها كانت تحملُ جزداناً عجيباً، ممتلئاً دائماً بالنقود الذّهبية.

وجدوا الكاهن، فقد كان الجميع على أهبةِ الاستعداد في الكنيسة، وخلال دقائق عقدا قرانهما، زوجاً وزوجةً. عادا معاً إلى حفل الزفاف، وكانت قد تمّت دعوةُ الجيران جميعاً. حظي العروسان باحتفالٍ ملكي، وبينما هما على وشك المغادرة، هزّت العروسُ جزدانَها العجيبَ، فانهمرَ شلالٌ من القطعِ الذّهبية بين الضّيوف، وغادر الجميعُ الحفلةَ، تغمرهم سعادةٌ فائقة.

Twitter: @ketab_n

عاش حوذيُ القارب الطيّب وزوجتُهُ الرائعةُ حياةً سعيدةً معاً، ولم يحتاجا شيئاً، وكانا يُغدقان العطايا على كلّ من أتى طالباً العون. واستمرّ يديرُ عبّارته، لكنه كان يأخذ الركّاب جميعاً بالمجّان، بل ويعطي كلاً منهم قطعةً ذهبية.

الآن، كان ثمة ملكٌ جديدٌ على البلاد، وقد خلف أخاه الأكبر منذ زهاء السنة. وقد تناهت إلى مسامعه أخبارُ حوذي القارب، الذي كان غناه خيالياً، ورغب بأن يتأكّد من حقيقةِ القصّة التي سمعها، وقد أتى لكي يتحقّق بنفسه. ولكنه حين رأى زوجةَ حوذيّ القارب، الجميلة والشابة، عقد العزمَ على أن يستحوذَ عليها بنفسِه، وقرّرَ التخلّصَ من زوجِها، بطريقةٍ أو بأخرى.

في تلك الأثناء، شهدت البلادُ كسوفاً للشّمس، فأرسلَ الملكُ في طلبِ الحوذيّ، وأخبرهُ بأنّ عليه أن يعرفَ سبَبَ هذا الكسوف، أو يواجه الموت.

عاد إلى زوجته والأسى يعتصرُ فؤاده، لكنّها قالت:

«لا تقلق يا عزيزي. سوف أدلّكَ على ما يجب عليكَ فعله، وكيف تشبع فضولَ الملك».

Twitter: @ketab_n

هكذا أعطتهُ كرةً عجيبةً من الخيطان، التي يجب أن يرميها أمامه، ويتبعُ الخيطَ حيث يقودُهُ باتجاه الشّرق.

مشى طويلاً، فوق الجبالِ الشّاهقة، والأنهارِ العميقة، والمساحات الشّاسعة. أخيراً وصلَ إلى مدينةٍ مهدّمة، حيث الجثثُ، غير مدفونة، تتوزّعُ في كلّ مكانٍ، وتعفّرُ الهواءَ بالطّاعون.

شَعَرَ الرّجلُ الطيّبُ بالأسفِ لما رآهُ، وتنكّب مشقّة استدعاء رجالٍ من مدنٍ مجاورةٍ، ليساعدوه في تدبيرِ دفنٍ لائقٍ للجثث. ثمّ استأنفَ رحلتَه.

وصل أخيراً إلى نهايات الأرض. هناك وجدَ حوذيّ القارب قصراً ذهبياً خلاّباً، سقفُهُ من الكهرمان، وأبوابُهُ وشبابيكُه من الألماس.

اتجهت كرةُ الخيطان مباشرةً إلى داخلِ القصرِ، ووجدَ نفسَه داخل شقّةٍ واسعةٍ، وهناك رأى سيّدةً عجوزاً جليلةً، تغزلُ على مغزلٍ ذهبي.

«أيّها الرّجلُ البائسُ، ما الذي أتى بكَ إلى هنا؟» قالتْ باستغرابٍ حين رأتهُ: «سوف يعودُ ابني حالاً ويحرقكَ».

Twitter: @ketab_n

شرحَ لها كيف أنه أُجبِر على المجيء، بدافعِ الضّرورة القصوى.

أجابت السيّدةُ العجوزُ، التي لم تكنّ سوى أمّ الشّمس: «حسنٌ، سوف أساعدُكَ، لأنكّ قمتَ بعمل صالح قبل بضعة أيام، ودفنتَ سكّان تلك البلدة، الذين قتلهم التنّين. إنّه -أي الشّمس- يسافرُ يومياً عبر قوسِ السّماء الرّحبة، في سيّارة من الألماس، يجرّها اثنا عشر حصاناً بنّياً، غررُها ذهبيةٌ، ويمنحُ الحرارةَ والضوءَ للعالم قاطبةً. سوف يعودُ حالاً، إلى هنا، ليأخذَ قسطاً من الرّاحة خلال اللّيل، ولكن ها هو قادم. هيا اختبأْ، واحرصْ على مراقبةِ ما سيجري».

بعد أن أنهت كلامها، غيّرت هويةَ زائرِها إلى عصفور سيّدةٍ، وجعلتُهُ يطيرُ إلى النافذة.

بعدئذٍ سُمِعَ صهيلُ الأحصنة العجيبة الرائعة، وخشخشة دواليب العربة، ودخلَ «الشّمس» بطلعته البهيّة، وبعد أن تمدّد فوق سريرٍ من المرجان، علّق قائلاً لوالدته:

«أشمّ رائحةَ إنسانٍ هنا!».

Twitter: @ketab_n

أجابت والدتُهُ: «عن أيّ هراء تتحدّثُ! كيف يمكن لآدمي أن يأتي إلى هنا؟ أنتَ تعرفُ أنّ هذا مستحيل».

كأنّما غير مصدّقٍ كلامَها، بدأ «الشّمسُ» يتحرّى الغرفةَ بقلقٍ بالغٍ.

قالت السيّدةُ العجوزُ: «لا تكن مضطرباً هكذا، ولكن، أخبرني، لماذا عانيتَ الكسوفَ قبل نحو شهرٍ أو شهرين؟».

أجاب الشّمسُ: «وهل كان بإمكاني تجنّب ذلك؟ حين هاجمني التنينُ من أعماقِ الهاوية، وكان عليّ أن أقاتلَه؟ ربّما كان يمكن للقتالِ أن يستمرّ حتى الآن، لو لم تأتِ حوريةٌ رائعةٌ، وتساعدُني. حين بدأت تغنيّ، وتنظرُ إلى التنّين بعينيها الجميلتين، لانَ غضبُهُ حالاً، ونسي نفسَه ناظراً إلى جمالِها، فاغتنمتُ الفرصةَ، وأحلتُهُ رماداً، ورميتُهُ في البحر».

ذهبَ الشمسُ، بعدئذٍ، إلى النّوم، ولمست والدتُهُ حوذيّ القاربِ ثانيةً بمغزلِها، فعادَ إلى هيئتِه الطبيعية، وانسلّ خارجاً من القصر. متتبعاً كرة الخيطان، وصل إلى منزلِه، أخيراً، وفي اليوم التالي، ذهب إلى الملكِ، وأخبرهُ بكلّ ما جرى.

Twitter: @ketab_n

على أنّ الملك اندهش لهذا الوصف، لحورية البحر الجميلة، حتى إنه أمر حوذيّ القارب بالذّهاب، وإحضارها له، وإلاّ سيلقى حتفه.

عاد إلى زوجته، في المنزلِ، حزيناً جدّاً، لكنها أخبرتهُ أنها ستتدبّرُ أمرَ هذه أيضاً. وبعد أن أنهت كلامَها، ناولتُهُ كرةَ خيطانٍ أخرى، لكي تدلّه على الطّريق، كما أنهّا زوّدتهُ بحمولةِ عَرَبةٍ كاملةٍ من المجوهرات والملابس والحليّ النسائية، وأخبرتُهُ بما يتوجّب عليه فعله، وودّعَ كلٌ منهما الآخر.

في الطّريقِ، التقى حوذيّ القاربِ شاباً يمتطي صهوةَ حصانٍ بنيّ، وسأله هذا الأخير:

«ما الذي في حوزتكَ يا رجل؟».

«ملابس نسائية، باهظة الثمن، وجميلة».

كان بحوزته العديد من الفساتين، وليس مجرّد واحدٍ فقط.

«أقولُ، اعطني بعضاً منها كهدايا لحبيبتي التي سوف أراها. يمكن أن أكون نافعاً لك، لأنّني أنا الريحُ-العاصفةُ، وسوف آتي إليكَ كلّما ناديتني قائلاً:

Twitter: @ketab_n

«أيتها الرّيحُ–العاصفةُ! أيتها الريح–العاصفة! تعالي سريعاً!

ساعديني في محنتي المفاجئة!».

أعطاهُ حوذيّ القاربِ أجملَ ما بحوزتِهِ من أشياء، ومرّ الشّابُ في هيئةِ الرّيح–العاصفة.

وبعد أن قطع بعض المسافة، قابل شيخاً أشيب الشعر، لكنه يبدو قوياً صلباً، وهذا الأخير قال أيضاً:

«ما الذي لديك هناك؟».

«ملابس نسائية جميلةٌ، وباهظةُ الثمن».

«أنا ذاهبٌ إلى زفافِ ابنتي. سوف تتزوّجُ من الشابّ، الرّيح–العاصفة، فأعطني شيئاً أقدّمُهُ هديةَ عرسٍ لها، وسأكون نافعاً جدّاً لك. أنا الصّقيعُ، إذا احتجتَ لي، ناديني قائلاً:

«أيّها الصقيعُ، أناديكَ، تعال سريعاً!

ساعدني في محنتي المفاجئة».

سمَحَ له الحوذيّ بأخذِ كلّ ما يطلبُ، وتابعَ سيرَه.

Twitter: @ketab_n

والآن، وصلَ الرّجلُ إلى ساحلِ البحرِ، وهنا توقّفتْ كرةُ الخيطانِ، وأبَتْ أن تتابعَ طريقَها.

نزلَ الحوذيُ في البحرِ، حتىّ وصلَ الماءُ إلى خصرِه، وهناك شيّدَ عمودين عاليين، وصلت بينهما قضبانٌ متصالبةٌ، ونشر فوقها ملابسَ من ألوانٍ مختلفةٍ، ومناديل وأشرطةً وأوشحةً وأقراطاً من الألماس، ودبابيس وأحذيةً ومرايا ثم اختبأ عن الأنظار: صنّارتُهُ العجيبةُ في يدِه، وخيطُهُ جاهزٌ.

ما إن انبلجَ الصبحُ من أعماقِ البحرِ، حتى ظهرَ في البعيد، فوق صفحة المياة الناعمة، قاربٌ فضّي، تقفُ على متنه فتاةٌ جميلةٌ، تمسكُ بمجذاف ذهبي بيد، وبالأخرى ترفعُ شعَرَها الذّهبي الطّويلَ، وتغنيّ أغنية جميلةً للشّمس المشرقة، حتىّ إن حوذيّ العبّارة، ولو لم يصمّ أذنيه للغناء، كاد يسقطُ في حلمٍ لذيذٍ، وربّما أخلد إلى النّوم.

مضى عليها وقتٌ طويلٌ وهي تبحرُ في قاربها الفضيّ، وحولها تتقافزُ الأسماكُ المذهّبةُ، بأجنحتها الملوّنة كأقواسِ قزح، وعيونها الماسّية. لكنها، وعلى حين غرّة، رأت الملابسَ والزنيةَ الفاخرةَ، معلّقةً فوق العمودين، وما إن اقتربت أكثر، حتى نادى حوذيّ القارب بأعلى صوته:

Twitter: @ketab_n

«أيتها الريحُ–العاصفةُ! أيتها الريحُ العاصفةُ! تعالي سريعاً!

«ساعديني في محنتي المفاجئة!».

سألته العاصفةُ: «ما الذي تريده؟».

ومن دون أن يجيبها، نادى حوذيُ القارب:

«أيّها الصقيعُ! أناديكَ، تعالَ سريعاً!

ساعدني في محنتي المفاجئة!».

سأل الصقيع: «ما الذي تريده؟».

«أريدُ أن أصطادَ حوريةَ البحر تلك».

هبّتْ الرّيحُ، وزادَ هبوبها، عندئذ، فانقلبَ القاربُ على ظهرِه، ونفخَ الصقيعُ على البحرِ، فتجمّدَ، من أقصاه إلى أقصاه.

هرَعَ حوذيّ القارب باتجاهِ حوريةِ البحرِ، وشَبَكَ صنّارتُهُ في شعرِها الذهبيّ، ورفعَها فوق حصانِه، ومضى راجعاً بسرعةِ الرّيحِ، متتبعاً كرةَ خيطانِه العجيبةِ.

Twitter: @ketab_n

وظلّت الحوريةُ تبكي وتندبُ، طوال الطّريقِ، ولكن، ما إن وصلت منزلَ حوذيّ القارب، ورأت زوجَتَه، حتى تبدّل حزنهَا إلى فرحٍ. ضحكت بغبطة، ورمت نفسها بين أحضانهِا.

وتبيّن أنّ الحوريتين أختان شقيقتان.

في الصّباحِ التالي، ذهب الحوذيُ إلى بلاط الملك، ترافقُهُ زوجتُهُ، وأختُها، وفرَحَ الملكُ كثيراً بجمالِ هذه الأخيرة، حتى إنه لم ينتظر طويلاً، وطلب يدَها للزّواج على الفور. لكنها لم تستطعْ أن تعطِهِ جواباً، حتىّ يأتيها بالقيثار الذي يعزفُ من تلقاءِ نفسِهِ.

فأمر الملكُ حوذيّ القارب بإحضارِ هذا القيثار العجيبِ له، وإلاّ سيواجُهُ موتاً محتّماً.

أخبرتُهُ زوجتُه ما ينبغي عليه أن يفعلَهُ، وأعطتْهُ منديلَها المطرّزَ بالذّهب، وطلبت منه أن يستخدمَهُ في وقتِ الحاجةِ.

متتبعاً كرةَ الخيطان العجيبة، وصل أخيراً إلى بحيرةٍ عظيمةٍ، تنهضُ في وسطها جزيرةٌ خضراء.

Twitter: @ketab_n

ما إن بدأ يتساءل كيف يمكنه الوصول إلى هناك، حتى رأى قارباً يقتربُ، وعلى متنهِ شيخ له لحيةٌ بيضاء طويلة، وسرعان ما تعرّف عليه، ببالغ السّعادة، فقد كان فاعلَ الخير، والمحسنَ السّابقَ إليه.

سأله: «كيف حالكَ أيّها الحوذيّ؟ وإلى أين أنتَ ذاهبٌ؟»

«أنا ذاهبٌ إلى حيث تأخذني كرة الخيطان هذه، إذ يجب أن أعثر على القيثار الذي يعزفُ من تلقاءِ نفسِهِ».

قال الشيخ: «هذا القيثار، يعودُ إلى غولدمور، سيّد تلك الجزيرة. والتعامل معه صعب، ولكن، ربمّا، حالفكَ النجاحُ. ولأنك نقلتني ذات يوم بعبّارتكَ، فوق المياه، فسوف أنقلُكَ بدوري الآن».

انطلقَ الرّجلُ بقاربه، ووصلَ الاثنانُ إلى الجزيرة.

لدى وصوله إلى الجزيرة، اتجهت كرةُ الخيطان مباشرةً إلى داخل القصر، حيث خرج غولدمور للقاء المسافر، وسأله إلى أين هو ذاهبٌ، وماذا يريد.

وقال شارحاً:

Twitter: @ketab_n

«أتيتُ أطلب القيثار الذي يعزفُ من تلقاء نفسه».

«أسمحُ لكَ بأن تأخذه، ولكن بشرطٍ واحدٍ، وهو ألا تنم لثلاثةِ أيامٍ بلياليها. وإذا حدث ونمتَ، فلن تخسر فقط القيثار الذي يعزفُ من تلقاء نفسِه، بل يجب أن تموت».

وما الذي يستطيع الرّجلُ المسكينُ أن يفعلَه سوى أن يوافقَ؟

دلّه غولدمور إلى غرفة كبيرةٍ، وأقفلَ عليه الباب. كانت أرضيةُ الغرفةِ مفروشةً بالعشبِ النّاعس، فاستسلمَ للنومِ مباشرةً.

في الصباح التالي، دخل غولدمور، وقال، وهو يوقظُهُ:

«أويت إلى النّومِ، إذن! حسنٌ جداً. سوف تموتُ!».

لمسَ نابضاً في الأرضيةِ، فسقطَ الرّجلُ الشقيّ في غرفةٍ في الأسفلِ، حيطانُها مرايا متقابلة، وحوله أكوامٌ من الذّهبِ والأحجارِ النفيسة.

ظلّ مرمياً هناك لمدّة ثلاثة أيامٍ بلياليها، واجتاحهُ جوعٌ مخيفٌ. فجأةً أدركَ أنه تُركَ هناك، ليتضوّرَ، ويموتَ جوعاً!

Twitter: @ketab_n

نادى بأعلى صوته، وتوسّل، ولكن بلا جدوى، ولم يُجبْهُ أحدٌ، وبالرّغم، من أنه محاط بأكوام من الذّهب والحليّ، لكنها لم تكن تستطيعُ أن تشتري له لقمةً واحدةً من الطّعام.

حاول، عبثاً، البحثَ عن وسيلةٍ للخروج. كانت توجد نافذةٌ من الكريستال الصّافي، لكنّها محبوسة خلف مشبكٍ من القضبان الحديدية الثقيلة، بيد أنّ النافذة كانت تطلّ على حديقة، ومن هناك كان بمقدوره سماع طيور العندليب تغني، والحمائم تهدل، والسّاقيةُ الصغيرةُ تهمسُ. ولكن في الداخل، لم يكن يرى سوى أكوام، لافائدةَ منها، من الذّهبِ والمجوهرات، فضلاً عن وجهِه، الذي بدا مرهقاً ومترهّلاً، بعد أن تضاعفَ في المرايا آلاف المرات.

لم يعد أمامه سوى أن يصلّى لكي يموت موتاً سريعاً؛ وهكذا أخرجَ صليباً صغيراً، من الحديد، كان لا يزال يحتفظ به منذ صباه. ولكن، أثناء إخراجه للصليب، سحب معه المنديلَ المطرّز بالذّهب، الذي كانت قد أعطته إياه زوجته، ونسيه تماماً حتىّ الآن.

كان غولدمور ينظرُ ويراقب، مثلما يفعل عادةً، من فتحةٍ في السّقف، لكي يستمتع بمنظرِ عذابات سجينِه.

Twitter: @ketab_n

في الحال، تعرّف المنديل، الذي يعودُ إلى شقيقتِه، زوجة حوذيّ القارب.

وبدّل في الحال معاملتَه لصهره، بعد أن اكتشف حقيقةَ أمره، فأخرجهُ من السّجن، واصطحبه إلى شقّته، وقدّم له الطعام والشراب، وأعطاه القيثار الذي يعزفُ من تلقاءِ من نفسِه.

أثناء عودته إلى المنزل، التقى زوجتَه في منتصف الطريق.

شرحت له: «عادت كرةُ الخيطانِ إلى البيتِ بمفردها، فأدركتُ أن مكروهاً وقع لك، وقد جئتُ لكي أساعدكَ».

حكى لها عن جميع مغامراته، وعادا إلى المنزل معاً.

كان الملكُ في شوقٍ عظيمٍ لرؤيةِ وسماعِ القيثار الذي يعزف من تلقاء من نفسه، فأمر حوذيّ القارب وزوجته وشقيقتها، بمرافقة القيثار إلى القصر في الحال.

ومن خصائص هذا القيثار أنه عندما تُعزَفُ موسيقاه، يشفى المريض، ويُسعَدُ الحزينُ، ويصيرُ البشعون جميلين، وتُفكّ تعاويذ السحر، والمقتولون ينهضون من موتهِم، ويقتلون قاتليهم.

Twitter: @ketab_n

أُعلِم الملكُ بالتعويذة التي تجعلُ الغيتارَ يعزفُ، وما إن نطقَ بالكلمات، حتى بدأ كلّ من في البلاطِ يرقصُ، سعيداً، باستثناء الملك نفسه! إذ فتحت جميع الأبـواب تواً على مصاريعها، وتوقفّت الموسيقى، وظهر طيفُ الملك الراحل، مجلبباً بكفنه، وقال:

«كنتُ المالكَ الشّرعي للعرش! ولكن أنتَ أيها الأخ الشّرير، الذي كنتَ وراء مقتلي، سوف تحصدُ الآن جزاءَكَ!».

وبعد أن أنهى كلامه، نفخ عليه، فخرّ الملكُ صريعاً- وعلى إثر ذلك اختفى الطيفُ.

ولكن بعد أن استيقظَ الجميعُ من الذّعر الذي ألمّ بهم، اختارت نخبةُ النبلاء، التي كانت حاضرة، حوذيّ القارب، ملكاً عليهم.

في اليوم التالي، وبعد الانتهاء من مراسم دفن الملك الراحل، عادت حوريةُ البحر الجميلة، وحبيبة «الشّمس»، أدراجَها إلى البحر، على متن قاربٍ فضّي، ترافقُها الأسماكُ، بألوان قوسِ قزح، مغتبطةً بأشعّة الشّمس.

Twitter: @ketab_n

على أنّ حوذيّ القارب الطيّب عاش مع زوجته، سعيداً، حتى النهاية، ملكاً وملكةً. ونظّما حفلةً ضخمةً للنبلاء وعامّة الناس. ومنحَ القيثار الذي يعزفُ من تلقاءِ نفسه، موسيقاهُ للحاضرين، وبعثرَ الجزدانُ العجيبُ نقودَه الذهبيةَ طوال الوقت، واحتفى الملكُ بالضّيوف جميعاً، احتفاءً ملكياً.

Twitter: @ketab_n

أميرةُ جبل النحاس

كان ثمة أميرٌ شاب، لم يكن فقط الأكثر وسامةً، بل الأكثر طيبةً، ونقاوة قلب. وعاجلاً أم آجلاً، فإنّ الطيبةَ تلقى دائماً ثوابهَا، مع أنهّا قد لا تبدو هكذا في أوّلِ الأمرِ.

ذاتَ مساءٍ من مساءات الصّيفِ، كان الأميرُ يسيرُ على ضفافِ البحيرةِ، حين نظرَ إلى الأعلى، ورأى مندهشاً، في الهواءِ، بمحاذاةِ السّحب الورديةِ للغروب، ثلاثةَ مخلوقات جميلة، مجنّحة – ليسوا ملائكة، ولا عصافير– بل ثلاث فتيات جميلات.

وبعد هبوطهنّ على الأرض، خلعْن أجنحتهنّ وأثوابهنّ وتركْنها على الشّاطئ، وقفزن في الماءِ الباردِ، وبدأن يذرون الرّذاذَ، ويلعبْن، مثل العديدِ من طيورِ الماءِ.

ما إن رأى الأميرُ هذا المشهدَ، حتى خرجَ من مخبئِهِ بين الأغصان، وخطفَ زوجي أجنحةٍ، ثم اختبأ من جديد.

Twitter: @ketab_n

وبعد أن أمضين وقتاً لابأس به في الماء، عادت الفتيات الجميلات الثلاث إلى اليابسة، وارتدين ثيابهنّ سريعاً.

اثنتان منهنّ ارتديتا حالاً أثوابهنّ البيضاء النّاصعة وأجنحتهنّ، لكنّ أصغرهنّ لم تستطع أن تجدَ جناحيها.

عقدت الفتيات مشاورة قصيرة، كانت نتيجتها أن تطير الاثنتان الأكبر سنّاً في هيئة عصفورتين، بأقصى سرعة لهما، لكي تحضرا زوجين جديدين من الأجنحة لشقيقتهنّ الصغرى.

وسرعان ما تلاشتا في زرقة السّماء، لكنّ الصغرى ظلّت وحيدةً، تضربُ كفاً بكفّ، وتبكي.

سألَ الأميرُ، خارجاً من الدّغل الصغير: «ما الذي تبكين من أجله، أيتُها الصبيةُ الحلوةُ».

«آه، ما أشدّ تعاستي! أنا أميرةُ الجبلِ النحاسي، وقد أتيتُ أنا وأختاي إلى هنا لنستحمّ في البحيرة، ولكن جاء أحدُهم وسرقَ جناحيّ، ولذا يجب أن أنتظر هنا، حتى تحضرا لي زوجاً آخر».

أجاب: «أنا أمير، وهذه مملكة أبي. كوني زوجتي، وسوف أعيدُ لكِ جناحيكِ».

Twitter: @ketab_n

قالت: «حسنٌ جداً. أوافق، بشرط أن تعطيني جناحيّ على الفور».

أجاب: «دعينا أولاً نذهب إلى الكنيسة، ونعقد قراننا». أمسك بيدِ الأميرةِ الحلوةِ، واصطحبها معه إلى والده ووالدته، وطلب منهما أذناً بالزّواج منها.

فرحَ الملكُ والملكةُ بكنّتهما الجميلة، ومنحاها مباركتهما، واستعدّ الجميعُ للزّفاف.

عادا مباشرةً من الكنيسة، وقبّلَ الأميرُ، الذي استولت عليه الغبطةُ، عروسَه، وأعادَ لها جناحيها.

أخذتهما بحبورٍ، وثبّتتهما على كتفيها، وطارت من النّافذة، واختفت.

سادَ الذّعرُ ضيوفَ حفلةِ الزّفاف، وبدا الملكُ متجهّماً، وبكتْ الملكةُ بمرارةٍ، لكنّ الأمير الذي حزنَ حزناً شديداً على عروسِه، وبعد أن ضمنَ موافقةَ أبويه، خرج إلى العالم الرّحب، بحثاً عن الجبل النحاسي، حيث أمل بأن يجدها هناك.

Twitter: @ketab_n

ضرَبَ في الأرضِ طويلاً، سائلاً عنه كلّ شخصٍ قابَلهُ، ولكن لم يسمع أحدٌ قطّ بذاك الجبل، وبدأ يفقدُ الأملَ بالعثور عليه.

ذات مساء، وكان الوقتُ قد تأخّر، رأى ضوءاً يومضُ أمامَهُ، فتبعهُ، على أملِ أن يصل إلى مكان مأهولٍ. قاده الضوءُ بعيداً، عبر سهولٍ مستويةٍ، وشِعَبٍ ضيّقةٍ، حتى وجدَ أخيراً ممراً غبر الغابة المظلمة. ووصل إلى حيث ينبعُ الضوء– من صومعةٍ معزولةٍ.

ولجَ إلى الداخلِ، ورأى الناسكَ ممدداً، جثةً هامدةً، وحوله ستّ شمعاتٍ تحترق. والظاهرُ أنّه فارقَ الحياةَ منذ بعضِ الوقت. مع ذلك، لا يبدو أنّ ثمة أحداً في الجوار، أو قاطنين يعيشون في هذه المنطقة المهجورة.

الفكرةُ الأولى التي خَطَرت للأمير هي كيف يقومُ بدفنِ النّاسكِ، وفقاً للشعائر المناسبة، وخاصّة أنه لا يوجد كاهنٌ– ولا بشرٌ في الحقيقة– يسكنُ في الجوار.

وبينما هو مستغرق في التفكير، سقط شيءٌ من مسمارٍ على الحائط، بالقرب منه، وتبيّن أنه سوطٌ من الجِلد.

التقطه الأميرُ، وقرأ على قبضتِه هذه الكلمات:

Twitter: @ketab_n

«السوطُ السحريُ».

وبعد أن أدركَ وظيفتَه، نادى بأعلى صوتِه:

«أوه! أيّها السّوطُ السّحريُ!

تحرّك يميناً ويساراً!

وافعلْ ما أطلبُهُ منكَ!».

قَفَزَ السّوطُ من يدِه، وأضحى لامرئياً، وطار بعيداً.

بعد وقتٍ قصيرٍ، سمعَ همهمةَ جموعٍ في الغابةِ، ودخلَ زعيمُ الغابةِ، متقطّعَ الأنفاسِ، يتبعُهُ حشدٌ من الخَدمِ، وأناسٌ كثيرون.

انصرف بعضهم إلى صناعة تابوتٍ، وبعضهم الآخر راح يحفرُ القبرَ، وامتطى زعيمُ الغابة حصانَه، وذهب ليحضرَ كاهناً.

وحالما حان موعدُ قدّاسِ الفجرِ، بدأت الأجراسُ ترنّ، في كنائسَ نائيةٍ بعيدةٍ، ومع بزوغِ الشّمسِ، كان الجثمانُ قد ووري في الثّرى بشكلٍ لائق. وحين انتهت مراسمُ الدفنِ، تفرّق الناسُ إلى منازلهم، وعاد السّوطُ السحريُ، من تلقاءِ

Twitter: @ketab_n

نفسه، إلى يدِ الأميرِ. علّقه الأميرُ حول زنّاره، وتابع سيرَه، حتى وصل، بعد ساعة أو ساعتين، إلى فسحةٍ في الغابة، ووجد اثنا عشر رجلاً يتشاجرون، بشراسةٍ، فيما بينهم.

صرخ الأمير: «توقّفوا، أيها الرّجال! من أنتم! وما الذي تتشاجرون بسببه؟».

أجابوا: «إننا لصوصٌ، ونحن نتشاجر على الجزمة التي تعودُ إلى زعيمِنا المتوفّى، ومن يملكُها يستطيعُ أن يقطعَ سبعةَ فراسخ في خطوةٍ واحدة، ومن يحصل عليها يصبحُ زعيماً لنا. وبما أنّك غريب، نقبلُ بقرارِكَ، حول من يجب أن تعود ملكية هذا الحذاء، وسوف نعطيكَ كومةً من الذّهب كجزءٍ من الصّفقة».

سحَبَ الأميرُ الجزمةَ، وانتشلَ السّوطَ السّحريَ من خلفِ زنّارِه، وقال:

«أوه! أيّها السّوطُ السّحريُ!

تحرّك يميناً ويساراً!

وافعلْ ما أطلبُهُ منكَ!».

Twitter: @ketab_n

قفزَ السّوطُ من يدِه، وأضحى لامرئياً، وبدأ يجلدُ اللصوصَ. ووسط الفوضى التي عمّت، وجدَ الأميرُ لنفسِه مهرباً، وبعد أن ارتدى الجزمةَ، صار يقطعُ سبعةَ أميالٍ في الخطوة الواحدة، وخلال وقت قصيرٍ، كان قد ابتعد كثيراً عن وكرِ اللصوص.

وبما أنه لم يقترب بعد، مجرّد اقتراب، من معرفة مكانِ الجبل النحاسي، لم يكن بحاجةٍ للمشي سريعاً، فخلعَ جزمةَ الفراسخِ السّبعة، ووضعَها تحت إبطه، وأعاد السّوطَ السّحريَ إلى زنّارِه، وتابعَ سيرَه بإيقاعِه المعتاد، حتى وصل إلى ممرّ ضيّق، بين مجموعة من الصّخور، فالتقى، من جديدٍ، اثني عشر رجلاً يتشاجرون.

شرحوا له بأنّهم يتشاجرون من أجل قبّعة الإخفاء التي تعودُ إلى زعيمِهم المتوفّى، وطلبوا منه، بوصفِه الغريب، أن يحكمَ بينهم، ومن ينبغي أن يمتلكَها.

وكما فعل سابقاً، حضّر السّوط السّحري للقيام بعمله، وسادت الفوضى بين هؤلاء اللصوص، ذلك أنهم لا يرون من أين تأتيهم لسعات السّوط، وما إن دبّ الذعرُ بينهم، ولّوا أدبارَهم، وتفرّقوا في جهاتٍ مختلفة. وصار الأميرُ، بعد أن ارتدى قبّعة الإخفاء، يمشي بينهم، ويتحدّثُ إليهم، وقد سمعوه جميعاً، لكنهم لم يروه.

Twitter: @ketab_n

وبدأ يفكّر لماذا لا يستخدمُ كلّ هذه الكنوز لمساعدتِه في العثور على الجبل النحاسي. ارتدى جزمةَ الفراسخِ السّبعةِ، ووضع قبّعة الإخفاء، فوق جبهتِه، وامتشقَ سوطَه عن خصرِه، وقال:

«أوه، أنتَ، أيها السّوطُ السّحريُ العجيبُ!

دلّني، وسوف أتبعُكَ!

هيا بنا إلى الجبلِ النحاسي

دلّني، فأنا متشوّقٌ للوصول إلى هناك».

قفزَ السوطُ من يدِه. لكنّه لم يصبح لامرئياً، هذه المرّة، بل انزلقَ بسرعةٍ فوق الأرضِ، مثل قاربٍ فوق بحرٍ هادئ. وعلى الرّغم من أنه كان يطيرُ مثل عصفورٍ، كان الأميرُ قادراً على مجاراة إيقاعِه، لأنه كان يرتدي جزمةَ الفراسخِ السّبعةِ. لم يكن واعياً البتة أنه، وبعد أقلّ من ربع ساعة، قد وصلَ إلى– الجبل النحاسي.

في البداية، شعرَ الأميرُ بفرحٍ عارم، لأنه وصل إلى مبتغاه، ولكن حين نَظَرَ إلى حوافّه العموديةِ النّاعمة، الصلبةِ كحجرِ الصوّان– قمّتُهُ تختفي وراء السّحب– انتابه يأسٌ كبيرٌ، إذ كيف يمكنه أن يصل إلى قمّته؟

Twitter: @ketab_n

مع ذلك، ظلّ يعتقدُ بأنّه لا بدّ أن توجدَ طريقةٌ ما للوصولِ إلى الأعلى، وهكذا خلع جزمته، وقبّعته، وقرّر السير حول قاعدةِ الجبل.

بعد مرورِ نصفِ ساعةٍ، أتى على مطحنة، لها اثنا عشر حجر رحى. الطحّان ساحرٌموغل في العمر، بلحية طويلةٍ تلامسُ الأرضَ. كان يقف بالقرب من مدفأة- فوقها تغلي ركوةٌ- ويحرّك محتوياتها بملعقة حديدية طويلة، ويضعُ الخشبَ في النّار.

نظرَ الأميرُ إلى الركوة.

«صباح الخير، أيها الشيخ. ما الذي تفعله هناك؟».

أجاب الطحّانُ بفظاظة: «هذا شأني وحدي».

سأل الأميرُ تالياً: «ما هي هذه المطحنة؟».

أجاب الطحّانُ: «هذا ليس من شأنكَ».

لم يرض الأمير هذا، فأعطى أوامره المعتادة إلى السّوط السّحري الذي أضحى، على الفورِ، لامرئياً، وبدأ يجلدُ الطحّان بقسوة. حاول أن يهرب، ولكن بلا جدوى، حتى شعر الأميرُ بالشفقة عليه، ونادى على السّوط أن يعودَ ثانيةً. وضعَهُ جانباً، ثم قالَ:

Twitter: @ketab_n

«لمن هذه المطحنة؟».

«إنها تعودُ لأميرات الجبل النحاسي الثلاث، إنهنّ يُنزِلْن حبلاً كلّ يوم، ويسحبْن الطّحينَ الذي يحتجْن إليه، بواسطة الحبل».

ما إن أنهى كلامَه، حتى تدلّى حبلٌ حريريٌّ سميكٌ، وفي نهايتِه أنشوطةٌ، ارتطمت بعتبةِ المطحنة. وضعَ الأميرُ نفسَه في حالة تأهّب، وحين عُقدت الأنشوطةُ بإحكام حول كيس الطّحين، تسلّق فوقه، بعد أن وضعَ قبّعة الإخفاء، وشدّه الحبلُ إلى أعلى قمّة الجبلِ النحاسي.

بعد أن سحبت الأميراتُ الثلاثُ مؤنتهنّ من الطّحين، ووضعنها في المخزن، عدن أدراجهنّ إلى مسكنهنّ.

كان قصرهنّ غايةً في الجمال، فخارجُهُ من الفضّة، وداخلهُ من الذّهب. النوافذُ جميعُها من الكريستال، والكراسي والطاولات من الألماس، والأرضية من المرايا العاكسة. كان السقفُ مثل السّماء، ترصّعه نجومٌ اصطناعيةٌ، وفي وسطه قمرٌ يشعّ، أما في الصّالون الرئيسي فكانت توجد شمسٌ، تنشرُ أشعّتها في كلّ مكان، وثمة عصافير تغنيّ، وقرودٌ تسردُ حكاياتٍ خرافيةً، وفي وسط هذا كلّه كانت تجلسُ أجملُ الأميرات على الإطلاق.

Twitter: @ketab_n

كانت الأميرتان الأكبر سنّاً تحيكان خيوطاً ذهبيةً بنوليهما، بينما الأميرة الصغرى، زوجة الأمير، فجلست صامتةً، بعيدةً عن أختيها، تصغي لهمس النافورة، وتسندُ رأسها بيديها، غارقةً في التفكير. وإذ تجلسُ هكذا، تدحرجت دموعٌ مثل اللؤلؤ على وجنتيها.

سألت الأميرتان الأكبر سنّاً: «ما الذي تفكّرين به، يا أختاه؟».

«أفكّرُ بالأميرِ، زوجي. أحبّ أن أفكّر به، وأنا في أشدّ الأسف عليه، المسكين! خاصّةً حين أفكّر كيف تركتُهُ من دون يبدر منه أيّ خطأ، على الإطلاق! وقد أحببنا بعضنا بعضاً بصدق كبير! آه! أيتها الأختان! ينبغي أن أترككنّ، وأعودُ إليه. جلّ ما أخشاه ألا يسامحني البتة، لكنني سوف أتوسّل إليه، لأنني تصرّفتُ بطريقةٍ غير لطيفة معه».

قال الأميرُ، خالعاً قبّعةَ الإخفاء، ومعانقاً إياها بولهٍ كبير: «أسامحكِ، أسامحكِ، عن كلّ شيء، يا حبيبتي!».

وفي غضون ساعة أو ساعتين، وصلا إلى مملكة والده.

رحّبَ بهما الملكُ والملكةُ بغبطةٍ كبيرةٍ، وغمرت السعادةُ والفرحُ الجميعَ، منذ تلك اللحظة، وحتى آخر العمر.

Twitter: @ketab_n

الدبّ في كوخ الغابة

في سالفِ الأيـام، كان هناك شيخ أرمـل، تزوّج من امرأةٍ عجوزٍ أرمل. كلاهما كانا قد أنجبا أولاداً من زواجهما الأوّل، فللشيخ ابنةٌ، لا تزالُ على قيدِ الحياةِ، وللمرأةِ العجوز ابنةٌ أيضاً.

الشيخ شخصٌ شريفٌ مجتهدٌ وطيّب، إلا أنه واقعٌ تحت سيطرةِ زوجته. وهذا ليس بفأل خير، فالمرأةُ شرّيرةٌ خبيثةٌ وماكرةٌ، وهي ساحرةٌ سيئة الصّيت.

كانت ابنتُها تشبهُها كثيراً في طبائعها، وهي مدلّلةُ والدتِها.

أما ابنةُ الشيخ فكانت فتاةً حلوة، طيبة جدّاً، ومع ذلك، كانت زوجةُ أبيها تكرهها كرهاً شديداً، وتعذّبها دائماً، وتتمنّى لها الموت.

ذات يوم، ضربتها ضرباً مبرّحاً، ودفعتها خارج الأبواب، ثم قالت للشيخ:

Twitter: @ketab_n

«ابنتُكَ الشقيّة تسبّبُ لي المتاعبَ دائماً. إنها فتاةٌ فاجرةٌ، عكرةُ المزاج وفاسقة، ولا أستطيعُ أن أفعلَ شيئاً من أجلِها. لذا، إذا أردتَ أن يعمّ السلامُ في هذا المنزل، فينبغي عليك أن تضعَها في عربتِكَ، وتنقُلُها بعيداً إلى الغابة، وتعودَ من دونها».

شعرَ الرّجلُ بغمّ كبير لأنه مضطر إلى فعل ذلك، رغم أنه كان يحبّ ابنتَه حبّاً جمّاً. لكنّه يخافُ كثيراً من زوجتِه، ولا يستطيعُ أن يرفضَ لها طلباً، وهكذا وضعَ الفتاةَ المسكينةَ في العَرَبة، وانطلق بها بعيداً باتجاه الغابة، وأخرجها منها، ثم تركَهَا هناك وحيدةً.

هامت الفتاةُ على وجهِها، طويلاً، تجمعُ الفراولة البرية، وتأكُلُه مع كسراتٍ من الخبز، كان أبوها قد أعطاها إياها، ومع حلولِ المساءِ، وصلت إلى بابِ كوخٍ في الغابة، وطَرَقتْ عليه.

لم يجبها أحدٌ على طَرَقاتِها، فما كان منها إلاّ أن رفعَت الرتاجَ، ودخلت، وبدأت تنظرُ حولها- لا أحدَ هناك.

ولكن كانت توجد طاولة في إحدى الزوايا، ومقاعد صغيرة تحيط بالجدران، ومدفأةٌ خلف الباب. وقرب الطّاولة، قريباً من النّافذة، كان يوجد دولابُ غَزْلٍ، وكمّيةٌ من الكتّان.

Twitter: @ketab_n

جلست الفتاةُ خلف دولابِ الغزل، وفتحت النافذة، ونظرت نحو الخارج، وأصغت ملياً. ولكن، لم يأتِ أحدٌ.

ومع حلول الغَسَق، بدأت تسمعُ خشخشةً، ليست بالبعيدة، ومن مكان ما، ليس بعيداً عن الكوخ، سمعت صوتاً يُغنّي:

«أيتها، المتسكّعةُ، المنبوذةُ، المهجورةُ،

التي حلّ عليها الظلامُ،

إذا لم يكن يلطّخ ضميرَك جريمةٌ ما

امكثي الليلةَ في هذا الكوخِ».

حين توقّف الصوتُ عن الغناء، أجابت:

«أنا منبوذةٌ ومهجورةٌ؛

ولكن لم تُلطّخني جريمةٌ:

إن كنتَ غنياً أو فقيراً

دعني، اللّيلةَ، هنا، أبيتُ!».

Twitter: @ketab_n

مرّةً أخرى، سُمِعت خشخشةٌ بين الأغصان، وانفتحَ البابُ، وإلى الغرفةِ دخلَ- دبّ!

وثبت الفتاةُ من مكانِها، وهي تشعرُ بالذّعر، لكن الدبّ اكتفى بالقول:

«مساء الخير أيتها الحسناء!».

«مساءُ الخيرِ لكَ، كائناً من تكون!» أجابت، بعدما عادت إليها الطمأنينةُ شيئاً ما.

سأل: «كيف انتهى بكِ الأمرُ إلى هنا؟» هل أتيتِ بمحضِ إرادتكِ، أم بالإكراه؟».

أخبرتهُ الصبيةُ، باكيةً، بكلّ شيء، لكنّ الدبّ جلسَ بجانبِها، وراحَ يمسّد وجهَها بكفّهِ، ثم قال:

«لا تبكي، أيتها الحلوةُ، ستكونين سعيدةً، مع ذلك. ولكن، في هذه الأثناء، ينبغي أن تفعلي ما أخبرُكِ به. هل ترين هذا الكتّان؟ ينبغي عليكِ أن تغزليه خيوطاً، ومن تلك الخيوط، عليكِ أن تحيكي نسيجاً، ومن ذاك النسيج، ينبغي أن تصنعي لي قميصاً. سوف آتي إلى هنا، غداً، في التوقيتِ

Twitter: @ketab_n

نفسِه، وإذا كان القميصُ جاهزاً، فسوف أكافؤكِ. وداعاً».

بعد أن أنهى كلامَه، قامَ بانحناءةِ وداعٍ، وغادرَ. في البداية، بدأت تبكي، ثمّ قالت لنفسها:

«كيف يمكنني أن أنجزَ هذا خلال أربع وعشرين ساعة فقط– أغزلُ كلّ ذاكَ الكتّان، وأحيكُهُ نسيجاً، وأصنعُ منه قميصاً؟ حسنٌ! ينبغي أن أبدأ العمَلَ! وأنجزُ ما في وسعي، على الأقلّ سيرى إنّ نيتّي طيّبة، رغم أنّني لستُ قادرةً على إنجازِ المهمّة».

بعد أن نطقت بهذه الكلمات، جفّفت دموعَها، وتناولت بعضاً من الخبز والفريز البرّي، وجلست خلف دولاب الغزل، وبدأت تنسجُ في ضوء القمر.

مرّ الوقتُ سريعاً، وهي تعملُ، وأدركَها الصباحُ دون أن تعي ذلك.

ونفدت كميةُ الكتّان، وانتهت من آخرِ فَلَكَةِ مغزل.

أُصيبت بالدّهشة للسّرعة التي أُنجزَ فيها العملُ، وبدأت تحتارُ كيف يمكنها أن تحيكُ خيطاً من دونِ نَول.

أدركَها النومُ، بينما كانت مستغرقةً في التفكير.

Twitter: @ketab_n

حين استيقَظَتْ، كانت الشمسُ تحتلّ كبدَ السّماء. وجدت أنّ فطورَها جاهزٌ على الطّاولة، وهناك نولٌ تحت النّافذة.

هرعت تركضُ باتجاه السّاقيةِ المجاورةِ، غَسَلت وجهَها ويديها، ثم عادت وتناولت فطورَها: ثم جلست خلف النول.

انطلقت وشيعةُ النّولِ بسرعةٍ كبيرةٍ، حتى إن النسيجَ كان جاهزاً عند وقتِ الظّهيرة.

أخذتُهُ إلى المرَج، وذرّتْ الماءَ فوقَه من السّاقية، ونشرتُهُ في ضوءِ الشّمسِ، وفي غضون ساعة، كان النسيج قد ابيضّ.

عادتْ به إلى الكوخ، وقصّت القميصَ، وبدأتْ ترتُقُهُ بمهارةٍ.

حين بدأ الشّفقُ يهبطُ، وكانت تضعُ الدّرْزةَ الأخيرةَ، انفتحَ البابَ، ودخلَ الدبّ، وسألَ:

«هل القميصُ جاهزٌ؟».

أعطتْهُ القميصَ.

«شكراً لكِ، أيتُها الفتاةُ المجتهدة، والآن، يجبُ أن أكافئكِ. سبقَ وأخبَرتني أنّ لكِ خالة، هي زوجة أبيكِ، وإذا أحبَبتِ، أُرسِلُ دببتي، لكي تمزّقها وتمزّقُ ابنتَها، إرباً، إرباً».

Twitter: @ketab_n

«أوه! لا تفعل ذلك! لا أريدُ الانتقامَ، ودعهما تعيشان!».

«ليكن، ما تشائين، إذن! في هذه الأثناء، اذهبي إلى المطبخ، وأعدّي ثريداً للعشاء. سوف تجدين كلّ ما تريدينه في خزانة الحائط. أما أنا، فسوف أذهبُ وأحضر شراشفي، لأنني أريدُ أن أبيتَ اللّيلةَ في المنزلِ».

غادرَ الدبّ الغرفةَ، وأشعلت الفتاةُ النارَ في المدفأة، وبدأت تُجهّز الثريدَ.

في تلك اللحظة تماماً، سمعت صوتاً يأتي من تحت المقعد، ورأت فأراً مسكيناً، صغيراً، ونحيلاً، يركضُ، ثمّ يقف على طرفيه الخلفيين، ويقول بنبرةٍ بشريةٍ:

«يا سيّدة! ساعديني، كي لا أموت،

أنا فأرٌ صغيرٌ ضعيفٌ!

أنا جائعٌ، اعطني طعاماً

وسوف أكون طيباً معكِ».

شعرت الفتاةُ بالأسى لحال الفأر، ورمت له ملعقةً من الثريد.

Twitter: @ketab_n

أكلَ الفأرُ، وشكَرَها، وفرّ عائداً إلى وكره.

بعد قليل دخل الدبّ يحملُ كومةً من الخشب والحجارة، وضعها فوق المدفأة. وبعد أن تناولَ صحناً من الثريد، تسلّق المدفأةَ، وقال:

«خذي، أيتها الفتاة، هذه المجموعة من المفاتيح الموضوعة في حلقة فولاذية. أخمدي النارَ، ولكن ينبغي عليكِ أن تتجوّلي في أنحاء الغرفةِ طوال اللّيل، وتخشخشي دائماً بهذه المفاتيح، حتى أستيقظَ؛ وإذا وجدتُكِ على قيدِ الحياةِ في الصّباح، فستكونين سعيدةً».

بدأ الدبّ يشخرُ على الفورِ، وبقيتْ ابنةُ الشيخ تتجوّلُ في الكوخِ، وتخشخشُ بمفاتيحِها.

سرعان ما ركض الفأرُ من جحره، وقال:

«أعطيني المفاتيحَ، يا سيّدة. سوف أخشخشُ بها بالنيابةِ عنكِ، ولكن ينبغي عليكِ أن تختبأي خلف المدفأة، لأنّ الحجارة ستتطايرُ بعد قليل».

Twitter: @ketab_n

هكذا بدأ الفأرُ يركضُ ذهاباً وإياباً بموازاة الحائط، تحت المقعد. اختبأت الفتاةُ خلف المدفأة، ومع اقتراب منتصف اللّيل، استيقظ الدبّ، ورمى حجراً وسط الغرفة.

لكنّ الفأر تابع ركضَه، مخشخشاً بالمفاتيحِ. سألَ الدبّ:

«هل أنتِ على قيد الحياة؟».

«أجل،» أجابَ صوتُ الفتاةِ من خلفِ المدفأة، بينما كان الفأرُ يتابعُ جريَه، جيئةً وذهاباً، مخشخشاً بمفاتيحِه.

مع انبلاجِ الفجرِ، بدأت الديكةُ تصيحُ، ولكن الدبّ لم يستيقظْ. سلّمَ الفأرُ المفاتيحَ، وهرَعَ إلى جحرِه، لكنّ ابنة الشيخ، تابعت مشيَها حول الغرفةِ، وظلّت تخشخشُ بالمفاتيح.

مع شروقِ الشّمس، خرج الدبّ من المدفأة، وقال:

آهٍ، يا ابنةَ الشيخ! لقد باركتكِ السّماء! ذلك أنني، هنا، ملك قوي، حوّلهُ السّحرُ إلى دبّ، حتى تأتي روحٌ حيةٌ، وتُمضي ليلتين في هذا الكوخ. قريباً، سأصبحُ إنساناً، من جديد، وأعودُ إلى مملكتي، وآخذكِ معي زوجةً لي. ولكن قبل أن ينقضي ذلك، انظري في أذني اليمنى».

Twitter: @ketab_n

رفعت ابنةُ الشيخِ شعرَها إلى الخلفِ، ونظَرتْ في الأذن اليمنى للدبّ. هناك رأت بلاداً جميلةً، يقطنُها ملايينُ الناس، مليئة بالجبال الشّاهقة، والأنهار العميقة، والغابات الكثيفة، والمروج التي تطرّزها القطعانُ، والقرى الموسرةُ، والمدنُ الغنيةُ.

سأل الدبّ: «ما الذي ترينه؟».

«أرى بلاداً جميلةً».

«هذه هي مملكتي. انظري في أذني اليسرى».

نظرت، ولم تستطع أن تعبرّ، كما ينبغي، عن إعجابها بما رأت- قصرٌ خلاّب، بعربات وخيولٍ كثيرة في الباحة العامة، وفي العربات ملابس ثمينة، وحليّ، ونفائس من كل الأنواع.

سأل الدب: «ما الذي ترينه؟».

وصفت له كلّ ما رأت.

«أيّ من هذه العربات تفضّلين؟»

«تلك التي تجرّها أربعةُ خيول».

«هي لكِ، إذن» أجاب الدبّ بعد أن فتحَ النافذةَ.

Twitter: @ketab_n

سُمِعَ صريرُ عجلاتٍ في الغابة، ومرّت عربةٌ ذهبيةٌ من أمام الكوخِ، تجرّها أربعة خيولٍ، مع أنه لا يوجد حوذيّ.

زيّن الدبّ حبيبَته بمعطفٍ من نسيجِ الذّهبِ، وأقراطٍ من الألماس، وعقدٍ من الأحجار الكريمة، وخواتم من لؤلؤ، ثم قال:

«انتظري هنا قليلاً، سوف يحضرُ أبوكِ في الحال، وفي غضون بضعة أيام، بعد أن تكون قد اختفت قوّةُ السّحر، وأعودُ ملكاً، سوف آتي من أجلكِ، وستكونين مَلِكَتي».

ما إن أنهى كلامَه، حتى اختفى في الغابة. وراحت ابنةُ الشيخِ تنظرُ من النافذة، وتراقبُ قدومَ والدِها.

بعد أن ترك الشيخُ ابنتَه في الغابة، عاد حزيناً جداً إلى منزلِه، وفي اليوم الثالث، أعدّ عربتَه ثانيةً، وقدمَ إلى الغابة، ليرى إن كانت حيةً، أم ميتةً، وإذا كانت ميتةً، فليدفنها، على الأقلّ.

مع حلولِ المساء، وقفت المرأةُ العجوزُ، مع ابنتِها، تنظرُ من النافذة، وفجأةً اندفعَ الكلبُ المفضّلُ لابنةِ الشيخِ، وبدأ ينبحُ:

«بو! وو! وو! الشيخ هنا!

مصطحباً معه إلى البيتِ ابنتَه العزيزةَ،

Twitter: @ketab_n

مرصّعةً بالذّهبِ والألماسِ،

وهدايا تليقُ بملكةٍ متوّجة».

وجهّت العجوزُ رفسةً قويةً للكلب:

«أنتَ تكذبُ، أيّها الكلبُ الضّخمُ، البشعُ، هيّا انبحْ هكذا:

«بو! وو! وو!، الشيخُ أتى

مصطحباً معه إلى البيتِ عظامَ ابنتِه!».

قالت هذا وفتحت البابَ، فقَفزَ الكلبُ من مكانِه، وخرجت مع ابنتِها إلى الباحةِ. وقفتا هناك مبهورتين كأنهما تمثالان!

إذ دخلت العربةُ، التي تجرّها أربعةُ خيول، حيث الشيخُ يجلسُ فوق الصندوق، ملوّحاً بسوطِه، أما ابنته فتجلسُ في الدّاخل، مرتديةً فستاناً من ذهبٍ، ومزينةً بالمجوهرات.

تظاهرت المرأةُ العجوزُ بالفرحِ لرؤيتِها، واستقبلتْها بالكثيرِ من القُبُلات، متشوّقةً لمعرفة كيف حصلت على كلّ هذه الأشياء

Twitter: @ketab_n

الثمينة والجميلة.

أخبرتها الفتاةُ بأنّها حصلت عليها جميعاً من الدبّ في كوخِ الغابةِ.

في اليوم التالي، حضّرت المرأةُ العجوزُ كعكاً لذيذاً، وأعطتها إلى ابنتها، قائلةً للشيخ:

«إذا كانت ابنتُكَ الشقيّة الحقيرةُ، قد وفقت بهذا الحظّ السعيد، فأنا متأكّدة من أنّ ابنتي الحلوة، الغالية، ستحصلُ على صفقةٍ أفضل من الدبّ، فقط إذا وقعت عيناه عليها. ينبغي عليك إذاً أن تصطحبها في العربة، وتتركها في الغابة، وتعودُ أدراجكَ، من دونها».

ورفست الشيخَ رفسةً قويةً من الخلفِ، لتعجّل في رحيلِه، وأغلقت بابَ الكوخِ في وجهِهِ، وراحت تنظرُ من النافذة، لترى ما سيحدثُ.

دخل الرجلُ إلى الإصطبل، وأخذ العرَبَةَ، وأوثقها بحصانِه، وساعد ابنةَ زوجتِهِ على امتطائها، وانطلقَ معها باتجاه الغابة.

هناك، تركَهَا، واستدارَ بوجهِ حصانِه، وقفلَ راجعاً، على

Twitter: @ketab_n

جناحِ السّرعة.

لم يمضِ وقتٌ طويلٌ حتى عثرت ابنةُ المرأةِ العجوزِ على الكوخ. ولأنّها واثقة من مفاتنِها، دخلت مباشرةً إلى الغرفة. لم يكن ثمة من أحد في الدّاخل، ولكن كانت توجد الطاولة نفسها في الزاوية، والمقاعد موزعة حول الجدران، والمدفأة خلف الباب، ودولاب الغزل، تحت النافذة، مع كومة كبيرة من الكتّان.

اختارت أحد المقاعد، وجلست فوقه، وفردت صرّتها، وبدأت تأكلُ الكعكَ بتلذّذٍ كبير، ناظرةً، باستمرار، من النّافذة.

بدأ الظلامُ يهبطُ، رويداً، رويداً، والرّيحُ القويةُ تهبّ، وسمعتْ صوتاً يغنيّ:

«أيتها، المتسكّعةُ المنبوذةُ المهجورةُ،

التي حلّ عليها الظلامُ،

إذا لم يكن يلطّخ ضميرَك جريمةٌ ما

امكثي الليلةَ في هذا الكوخِ».

Twitter: @ketab_n

حين توقّفَ الصّوتُ عن الغناء أجابت:

«أنا منبوذةٌ ومهجورةٌ؛

ولكن لم تُلطّخني جريمةٌ:

إن كنتَ غنياً أو فقيراً

دعني، اللّيلةَ، هنا أبيتُ!».

انفتحَ البابُ، بعدئذٍ، ودخلَ الدبّ.

وقفت الفتاةُ على قدميها، وعاجَلَتْهُ بابتسامةٍ فائزةٍ، وانتظرته كي يقوم هو أوّلاً بانحناءةٍ.

نظر إليها الدبّ نظرةً خاطفةً، وقدّم انحناءةً، وقال:

«اهلاً بكِ، أيتُها الفتاةُ، ليس لدي الكثير من الوقت أمكثُهُ هنا. ينبغي أن أعودَ إلى الغابة، ولكن بين الآن وغداً مساءً، يتوجّب عليكِ أن تخيطي لي قميصاً، من هذا الكتّان، ولذا يجب أن تجلسي حالاً، وتبدأي الغزل، والحياكة والتبييض وأخيراً الرّتقَ. وداعاً».

بعدما أنهى كلامه، استدارَ الدبّ وغادرَ.

Twitter: @ketab_n

قالت الفتاةُ حالما أدار ظهره: «ليس هذا هو الشّيء الذي جئتُ من أجلِه، لكي أُنجِزَ غزلكَ وحياكتكَ ورتقكَ! بإمكانكَ أن تبقى من دون قميص، بالنسبة لي!».

قالت هذا، وراحت توسّع لنفسها مكاناً مريحاً فوق أحد المقاعد، وخَلَدتْ إلى النوم.

في اليوم التالي، ومع حلولِ غَسَق المساءِ، عاد الدبّ، وسأل:

«هل القميصُ جاهزٌ؟».

لم تجبه.

«ما هذا؟ لم تلمسي المغزلَ».

ظلت صامتة.

«حضّري لي عشائي في الحال. ستجدين الماءَ في الدلو، والبرغلَ في تلك الخزانة. ينبغي أن أذهب وأحضّر شراشفي، لأنّني سوف أبيتُ الليلةَ في البيت».

خرج الدبّ، وأشعلت ابنةُ المرأةِ العجوزِ النارَ في المدفأة، وبدأت تحضّر الثريد. بعدئذٍ خرج الفأرُ الصغيرُ، ووقف على طرفيه الخلفيين، وقال:

Twitter: @ketab_n

«ياسيّدة! ساعديني، كي لا أموتَ،

أنا فأرٌ صغيرٌ وضعيفٌ!

أنا جائعٌ، أعطيني طعاماً

وسوف أكون طيّباً معكِ».

إلا أنه لم يكن في يدِ الفتاةِ اللئيمةِ سوى الملعقة، التي تحرّك فيها الثريد، ورمت بها الفأرَ، الذي فرّ مذعوراً.

وسرعان ما عاد الدبّ، حاملاً كومةً ضخمةً من الحجارة والخشب؛ وبدلاً من الفراش، وضع طبقةً من الحجارة، فوق المدفأة، وغطّى هذه بالخشب، عوضاً عن الغطاء. أكلَ الثريدَ وقال:

«هيا خذي هذه المفاتيح، وامشي طوال اللّيل في أرجاء الكوخ، واستمرّي في خشخشتِها. وإذا استيقظتُ، غداً، صباحاً ورأيتُكِ على قيد الحياة، فستكونين سعيدة».

بدأ الدبّ يشخرُ على الفور، وراحت ابنةُ المرأةِ العجوز تمشي، جيئةً وذهاباً، تغالبُ نعاسَها، وتخشخشُ بالمفاتيح. استيقظ الدبّ حوالي منتصف اللّيل، ورمى بحجرٍ باتجاه الزّاوية، التي سمعَ منها الخشخشةَ، فأصابت ابنةَ المرأةِ العجوز.

Twitter: @ketab_n

أطلقتْ البنتُ صرخةً واحدةً، ثمّ سقَطَتْ، وفارقت الحياة على الفور.

في الصّباحِ التالي، نَزَلَ الدبّ من أعلى المدفأة، نَظَرَ لمرّةٍ واحدةٍ إلى الفتاة الميتة، وفتح باب الكوخ، ثمّ وقف على العتبة، وداسَ عليها مرّات ثلاث بكلّ ما أوتي من قوّة. أرعدت وأبرقت، وفي لحظة واحدة، أصبحَ الدبّ ملكاً شاباً وسيماً، يحملُ صولجاناً ذهبياً في يدِه، وتاجاً من الألماس فوق رأسِه.

واقتربَتْ من الكوخِ عربةٌ مشرقةٌ كالشّمس، تجرّها ستةُ خيولٍ. وراح الحوذيّ يحرّكُ سوطَه، حتى تساقطتْ الأوراقُ من الأشجارِ، وصعدَ الملكُ إلى العرَبَة، وغادر الغابةَ باتجاه مدينتِه الرئيسية.

بعد أن وضَعَ الشيخُ ابنةَ زوجتِه في الغابة، عادَ، فرحاً لفَرح ابنتِه. كانت تنتظرُ الملكَ كلّ يوم. في هذه الأثناء، شَغَلَ نفسَه بالاعتناء بأربعة خيولٍ خلاّبة، منظّفاً العَرَبة، وسروج الجياد، الباهظة الثمن.

في اليوم الثالث، بعد عودتِه، جاءتهُ المرأةُ العجوزُ وقالت:

«اذهبْ واجلبْ غاليتي؛ لابدّ أنهّا تتبرّجُ بالذّهب، الآن، أو أنهّا تزوّجت توّاً من الملك، وبالتالي أكونُ أنا أمّاً للملكة».

Twitter: @ketab_n

ربطَ الشيخُ، المطيعُ أبداً، وثاقَ عَرَبته، وانطلق.

حين حلّ المساءُ، حدّقت المرأةُ العجوزُ من النّافذة، وبدأ الكلبُ ينبحُ:

«بوا ووا ووا، الشيخ عاد

مصطحباً معه عظامَ ابنتِكِ!».

صرخت المرأةُ العجوزُ: «انتَ تكذبُ! هيا انبحْ هكذا:

«بوا ووا ووا الشيخُ هنا!

مصطحباً معه إلى البيتِ ابنتَكِ العزيزةَ،

مرصّعةً بالذّهبِ والألماسِ،

وهدايا تليقُ بملكةٍ متوّجة».

بعد أن قالت هذا، هرَعَتْ تركضُ خارج المنزل، للقاء الشيخ العائد بعربته، لكنها توقّفت فجأةً كأنّ عاصفةً رعديةً ضربتها، وبدأت تتأوّه وتبكي، بالكادِ تلفظُ الكلمات:

«أين هي ابنتي الحبيبة؟».

Twitter: @ketab_n

حكّ الشيخُ رأسَه وأجاب:

«لقيت حظّاً عاثراً، وهذا كلّ ما أملكُهُ منها- بعض العظام العارية، وملابس مبقّعة بالدّم، في الغابة، في الكوخ القديم، لقد التهمَتها الذئابُ».

جمعت المرأةُ العجوزُ التي جُنّ جنونهُا حزناً، عظامَ ابنتِها، وتوجّهت إلى إحدى مفترقات الطرق، ودفنتها هناك، وهي تبكي وتنوحُ، ثمّ انحنت بوجهِها على القبر، وتحوّلت حجراً.

في غضون ذلك، اقتربت عربةٌ من باحة كوخ الشيخ، مضيئةً كالشّمسِ، مع أربعة خيولٍ خلاّبة، وحرّكَ الحوذيّ سوطه- حتى تداعى الكوخ، مصدراً صليلاً.

اصطحب الملكُ الشيخ مع ابنتِه، إلى العربة، وانطلقوا معاً باتجاه عاصمتِه، حيث تمّت ترتيبات الزّواج.

عاش الشيخُ سعيداً، في أواخرِ سنوات حياتِه، عمّاً للملكِ، وعاشت ابنتُه الحلوةُ ملكةً، هي التي كانت، ذات يومٍ، فقيرةً بائسةً.

Twitter: @ketab_n

ملحق

Twitter: @ketab_n

تنويه (I)

الضفدعة الأميرة

هـذه بالتأكيد «قصّةُ طَبيعةٍ». تمثّل الأمـيرةُ بوضوح، ومن يحيطُ بها، تشخيصاً للقوى الطبيعية الأوّلية. الباحثُ الكلاسيكي لا يمكن أن يتجاهل التشابهَ الصّاعق بين تحوّلاتها وبين قصّة «بيليوس» و«ثيتيس». والحقّ أن الخرافة «البروتية» (Protean) تتكرّر مراراً في هذه القصص البدائية السلافية، حتى إنه من المستحيل عدم الاشتباه بأصل مشترك.

Twitter: @ketab_n

تنويه (II)

الأميرة ميراندا والأمير هيرو

المـرأةُ العجوزُ «جـانـدزا»- الكلمة التي يترجمُها المعجميون البولنديون بـ «الغضب الشّديد»- تظهرُ بوتيرةٍ منتظمةٍ في الحكايات الخرافية الرّوسية والبولندية، بوصفها ساحرة السّاحرات. ويُشارُ إليها احياناً بـ«جاغا»، وتبدو شرّيرة تماماً، مع أنّها قادرة على خدمةِ أولئك الّذين يجيدون التعاملَ معها.

هذه القصّة- وربّما هي رمزية- عن الرّبيع والشّتاء، أو انتصار الضّوء على العتمة، يمكن ان تُقرَأ في اللّحظةِ الرّاهنة كاستعارة عن بولندا المدحورة، التي يُقمع شعبها، ويتضوّر جوعاً، بالرّغم من أنّ روح العَسْكَرة الألمانيةِ لم تستأصل هويتها بعد. ويمكن اعتبار الأميرة ميراندا، السّاهرة، المستيقظة، رغم كلّ ما يحيط بها من دمار ويأس، رمزاً لروح بولندا نفسها، التي لا تموت، والتي تنتظرُ من يخلّصها. ولكن أين هو الأمير هيرو، الذي سيجلبُ لها الخلاص؟

Twitter: @ketab_n

أليست الترجمة الأفضل للأميرة ميراندا– والتي يعني اسمها «الحسناء الخارقة»– هي «ميراندا التي تثير إعجابنا؟».

Twitter: @ketab_n

تنويه (III)

الزوبعة

يشيرُ اسمُ البطلة «لادنا» في اللّغة البولندية إلى «الحسناء» أو «الجميلة». ولكنّ المعنى الأصلي لا يُستخْدَم، لأنّ المرادف قريبٌ جداً، ومشابهٌ في معناه، وبالتالي يبدو مفضّلاً.

أما اسمُ الأميرِ «دوبروتك» فيعني «الجيّد» أو «الخيّر». وبسبب سهولةِ لفظِه، وصعوبةِ تغييرِه إلى اسم عَلَمٍ في الإنكليزية، بدا من الأفضل الإبقاء عليه، كما هو.

تضمّ القصة برمّتها شخصيات مشرقية جـدّاً. إنّ ذكر «البحار السّبعة»، والجبال الشاهقة خلفها، توحي بتأثيرٍ فارسي أو هندي. ويبدو القزمُ البشعُ، بلحيتِه الطّويلة وقامته المصغّرة، «جنّياً» خبيثاً، ونعثرُ على نظيرِه في الأسطورة المعروفة لحكايات «ألف ليلة وليلة». ولكنّ ليست هذه هي القصّة البولندية الوحيدة، التي تتركُ هذا الانطباع، إذ توجدُ قصص كثيرة أخرى تبدو وكأنّها مأخوذة مباشرةً من تلك الحكايات.

Twitter: @ketab_n

في عبارة «مياه الاسترخاء» ، فإنّ دلالة «الاسترخاء» ليست تماماً هي المقصودة، بل إزالة «التيبّس»، أو «التخشّب الموتي» (rigor mortis) كخطوة تمهيدية لعلاج جرح مميت، وتهشيم نومِ الموت. هذه الأنواعُ الثلاثةُ من المياه غالباً ما تظهرُ في القصص، كلّما يشارُ إلى هذه الحادثة.

Twitter: @ketab_n

تنويه (IV)

أميرة جبل النحاس

تمت ترجمة هذه القصّة بتصرّف، واختُصِرت كثيراً، قياساً بالأصل. إذ توجد مقاطع تأمّلية ورعـة، طويلة ومسهبة، ولا يمكن إقحامها. وطـرأ تعديل على المحادثة بين الأمير والطحّان–السّاحر، لأنّ موضوعها يبدو غير ملائم كثيراً للمغزى الرئيسي للقصّة، ويفتقرُ للرشاقة البلاغية.

ونجد لقصّة الحسناء الخارقة، الما وراء طبيعية، التي أجبرت، عبر سرقة جناحيها، للبقاء، آنياً، بين البشر الفانين، نجد نظيراً لها في كثير من البلدان والأمصار. وربّما كان المثال الأقدم حاضرٌ في قصّة فارسية، رويت في كتاب كايتلي (ميثولوجيا خرافية) وهي تحكي عن امرأة اسمها «بيري»، وقعت في فخّ، ما جعلها تعيشُ، لسنوات عديدة، كامرأة عادية، ولكنها، وبعد أن وجدت جناحيها ثانيةً، عن طريق المصادفة، تتركُ زوجَها الفاني، وأطفالها، وتقول: «أحببتكَ بما يكفي، حين كنّا هنا معاً، لكنّني أحبّ زوجي السّابق أكثر»– ثم تطيرُ وتختفي، عائدةً إلى «بيريستان». كما أنّ خرافة «سيلسكين الصّغيرة»، الموازية، تحضرُ تلقائياً إلى الذّاكرة.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

المعارف العامة
الفلسفة وعلم النفس
الديانات
العلوم الاجتماعية
اللغات
العلوم الطبيعية والدقيقة / التطبيقية
الفنون والألعاب الرياضية
الأدب
التاريخ والجغرافيا وكتب السيرة

كلمة
KALIMA

أبوظبي للثقافة والتراث
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE

ISBN 978-9948-01-344-0
9 789948 013440